البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس

لدى الناشئة وسبل الوقاية منها في ضوء القرآن والسنة

الباحث

د/عمرو سعيد فتوح درويش

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية

البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس لدى الناشئة وسبل الوقاية منها في ضوء القرآن والسنة

عمرو سعيد فتوح درويش
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر. مصر
البريد الالكتروني: Amrodarweesh.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في البحث عن البواعث التي دفعت الناشئة إلى فقدان الثقة بأنفسهم، حيث كانت البداية مع التدليل المفرط؛ مثل العطاء العشوائي للأبناء بلا ضابط ولا رابط، والخوف الزائد عليهم بدعوى حمايتهم، وتركهم بلا توجيه بدعوى صغر سنهم، وفي مقابل ذلك كانت القسوة الزائدة أيضا ضمن البواعث التي أدت إلى فقدان الناشئة الثقة بأنفسهم؛ مثل العنف البدني بمختلف صوره وأشكاله، والإرهاب النفسي الذي يتمثل في تخويف الأبناء بحكايات الأشباح، فضلا عن العصبية المفرطة والصراخ الدائم في وجوه الأطفال، وإقحامهم في الخلافات الأسرية بلا ذنب ولا جريرة، هذا إلى جانب التهديد اللفظي؛ بدءا من التحقير والإهانة، ومرورا بالتوبيخ الدائم، وانتهاء بالدعاء عليهم بالموت والهلاك، ثم اختتمت الدراسة مباحثها بإماطة اللثام عن مظاهر التهميش المتعمد من جانب الأسرة والمجتمع ضد الأبناء، والذي أثر بالطبع على تكوين شخصيتهم، هذا وقد اهتمت الدراسة فور كل باعث من البواعث المذكورة ببيان سبل الوقاية من أضراره ومخاطره.

الكلمات المفتاحية: البواعث ، الدوافع ، الفقد ، الثقة ، النفس ، الناشئة ، الوقاية.

Drivers of loss of self-confidence in young people
Ways to prevent them in the light of the Qur'an and Sunnah

Amr said Fattouh Darwish
Department of Islamic Da'wah and culture, Faculty of origins of religion and Da'wah in Menoufia, Al-Azhar University. Egypt.
E-mail: Amrodarweesh.adv@azhar.edu.eg

Abstract

This study boils down to searching for the motives that led young people to lose confidence in themselves, starting with excessive pampering. Such as random giving to children without control or connection, excessive fear for them under the pretext of protecting them, and leaving them without guidance under the pretext of their young age. In contrast, excessive cruelty was also among the motives that led to the youth losing self-confidence. Such as physical violence in its various forms and manifestations, Psychological terrorism, which is represented by frightening children with tales of ghosts, in addition to excessive nervousness and constant screaming in the faces of children, and involving them in family disputes without any guilt or guilt, in addition to verbal threats; Starting with contempt and insult, passing through constant reprimand, and ending with praying for them to die and perish, then the study concluded its investigations by revealing the manifestations of deliberate marginalization on the part of the family and society against children, which of course affected the formation of their personality. Immediately after each of the mentioned motives, the study focused on explaining ways to prevent its harms and dangers .

Keywords: Motives , Motivations , Loss , Confidence , Self , Emerging , Prevention.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد؛

فإن الثقة بالنفس أحد العوامل الرئيسة في تحقيق العديد من النجاحات والإنجازات التي يمر بها الإنسان، ولا يختلف على هذا الأمر اثنان، ولذا أمرنا الله تعالى بدراسة النفس الإنسانية فقال: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"(١) ولم يكتف بذلك؛ بل دعانا الله تعالى إلى تهذيبها وتربيتها بعد أن أقسم بها قائلا: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"(٢) بيد أن هناك العديد من البواعث الداخلية والخارجية تؤدي إلى زعزعة استقرار النفس الإنسانية، بل ربما تفقدها الثقة بالكلية؛ لا سيما عند الناشئة، ولذا جاءت هذه الدراسة التي نحن بصددها تحت عنوان: (البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس لدى الناشئة وسبل الوقاية منها في ضوء القرآن والسنة)

أهمية الدراسة:

١- تنبع أهمية هذه الدراسة من حيوية القضايا التي قامت بطرحها ومعاصرتها للواقع الذي نعايشه عن كثب، فلعلي لا أفارق الحقيقة إذا قلت: إن هذه الدراسة ترتبط جملة وتفصيلا بكل أفراد المجتمع على اختلاف أشكالهم وألوانهم، بدءا من الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ومرورا بالشباب في ريعان زهورهم، وانتهاء بالشيوخ في كهولة عمرهم.

٢- لم تنتهِ أهمية الدراسة عند حيويتها؛ بل تتجاوزها إلى خطورة البواعث التي طرحتها؛ فلك أن تتصور أن هذه البواعث تدفع الناشئة في كثير من

---

(١) سورة الذاريات، آية ٢١

(٢) سورة الشمس، ٧ – ١٠

الأحيان إلى التفكير في الانتحار؟! ولا غرو في ذلك؛ فالأحداث التي تترا علينا بين الفينة والأخرى خير شاهد ودليل.

٣- أكثر ما يميز هذه الدراسة؛ هو اهتمامها البالغ ببيان سبل الوقاية من مخاطر البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس، وقد جاءت هذه السبل الوقائية في ضوء الآيات القرآنية؛ والسنة النبوية.

أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع كثيرة للغاية، أذكر منها:

١- الأمية التربوية التي يتعامل بها بعض الآباء مع الأبناء، وبالتالي كان أمرا متوقعا أن نشاهد هذا العقوق الصادر من الأبناء للآباء.

٢- شغفي المتزايد بدراسة العلوم النفسية والاجتماعية؛ وربطها بالدراسات الشرعية، وتوظيفها لخدمة النفس الإنسانية.

٣- الاضطرابات النفسية التي انتشرت بين الناشئة بصورة يندى لها الجبين وتنفطر منها الأكباد، وذلك جراء ما فعلته المدنية الحديثة بخيرها وشرها وحلوها ومرها.

تساؤلات الدراسة:

١- ما هي البواعث التي دفعت بعض الناشئة للتفكير في الانتحار؟!

٢- ماذا صنعت الرفاهية الزائدة والتدليل المفرط بأبنائنا؟

٣- ما هي الآثار النفسية للعنف الأسري على الأبناء؟

٤- ما هي مظاهر التهميش المتعمد الذي يضر بنفسية الناشئة؟

٥- ما هي أهم الوسائل الوقائية لحماية الأبناء من مخاطر الشخصية الضعيفة؟

منهـج الدراسـة: اقتضت طبيعة الدراسة التي نحن بصددها؛ الالتزام

بالمنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بالبحث عن أبرز البواعث التي أدت إلى ضعف الثقة بالنفس عند الناشئة وتحليلها، ثم عرض السبل الوقائية للتحصين ضد أضرارها أو اجتثاثها من جذورها.

الدراسات السابقة: بعد البحث والدرس والفحص والتمحيص في المكتبات الجامعية ومحركات البحث؛ لم أعثر على دراسة أماطت اللثام عن البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس عند الناشئة وسبل الوقاية منها في ضوء القرآن والسنة في بحث مستقل.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث.

التمهيد ويشتمل على تحرير مصطلحات البحث.

المبحث الأول: التدليل المفرط.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العطاء العشوائي.

المطلب الثاني: الحماية الزائدة.

المطلب الثالث: غياب التوجيه.

المبحث الثاني: القسوة الزائدة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العنف البدني

المطلب الثاني: الإرهاب النفسي.

المطلب الثالث: التهديد اللفظي.

المبحث الثالث: التهميش المتعمد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول التهميش العاطفي.

المطلب الثاني: التهميش الاجتماعي.

المطلب الثالث التهميش التعليمي.

الخاتمة :- وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات والاقتراحات.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس عام للموضوعات.

والله ولي التوفيق

*****

التمهيد

تحرير مصطلحات عنوان البحث

اقتضت طبيعة الأبحاث العلمية البدء بتحرير مصطلحات عنوان البحث وذلك على النحو التالي:

أولا البواعث:

بعد البحث والدرس والفحص عن حقيقة مصطلح البواعث في معاجم اللغة تبين أن البعث في اللغة بمعنى: "الإثارة، يقال: بعثتُ الناقة: إذا أثرتها"(١) "وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، وانبعث في السير؛ أي أسرع"(٢) و"باعث: محرك، ومحرض، ومن يندفع في الحركة، وقوة باعثة؛ أي محركة ودافعة"(٣)

بعد هذا البيان اللغوي بات واضحا أن مصطلح البواعث له العديد من الدلالات تتناغم مع طبيعة هذه الدراسة التي نحن بصددها، مثل: الإثارة، الحراك، التحريض، السرعة، وكلها دلالات ترتبط بجوهر هذه الدراسة، حيث قصدت من معنى البواعث في بحثي: الأسباب التي أثارت انفعالات الناشئة وأحدثت حراكا لديهم؛ فأدت إلى فقدان ثقتهم بأنفسهم.

أما الباعث في الاصطلاح فهو: "موقف خارجي مادي أو اجتماعي

---

(١) مقاييس اللغة: الرازي، ج١، ص٢٦٦، مادة بعث، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الصحاح: الفارابي، ج١، ص٢٧٣، مادة بعث، ط: دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٣) تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر، ج١، ص٣٨٠، مادة بعث، ط: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م

يستجيب له الدافع فيؤدي إلى إشباعه"[١]

هذا التعريف يزيد من حقيقة مصطلح البواعث وضوحا، ويكشف النقاب عن أهميته وحقيقته الوظيفية داخل الدراسة، حيث أبان أن البواعث هي: الأفعال الصادرة عن الأفراد المحيطة بالإنسان؛ فتحرك وتحرض الدوافع الكامنة لديه، ويزداد الأمر وضوحا بعد إماطة اللثام عن مصطلح الدوافع في الفقرة التالية.

ثانيا: مصطلح الدوافع.

بعد البحث عن مادة دفع في معاجم اللغة تبين أن"الدافع والمدفاع: الناقة التي تدفع اللبن على رأس ولدها لكثرته...والاندفاع: المضي في الأمر، والمدافعة: المزاحمة... واندفع الفرس أي أسرع في سيره"[٢] و"الدفع معروف، يقول: دفع الله عنك المكروه دفعا، ودافع عنك دفاعا...وكذلك دفع المطر ونحوه"[٣]

وأما تعريف الدافع في الاصطلاح فيأتي بمعنى: "مثير داخلي يحرك سلوك الأفراد، ويوجهه للوصول إلى هدف معين"[٤]

---

(١) علم النفس المعاصر: د حلمي المليجي، ص١٢٠، ط: دار النهضة العربية، ط٨، ٢٠٠٠م

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ج٨، ص٨٩، مادة دفع، ط: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ

(٣) تهذيب اللغة: الأزهري، ج٢، ص١٣٤، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م

(٤) أثر درجة الذكاء والدافعية للإنجاز على أسلوب تفكير حل المشكلة لدى الطلبة المتفوقين في سن المراهقة، قطامي يوسف وقطامي نايفة، مجلة دراسات العلوم التربوية، عدد ٥، مجلد ٢٣، ص٢٤، الجامعة الأردنية.

من خلال هذه المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية بات واضحا ما يلي:

١- الباعث والدافع وجهان لعملة واحدة، كلاهما يشير إلى الحركة والاندفاع والسرعة في السير.

٢- كلا المصطلحين يمضيان قدما في تغيير سلوك الأفراد إما إلى الخير؛ وإما إلى الشر.

٣- الفارق الجوهري بين المصطلحين أن الباعث مثير خارجي يؤثر في سلوك الإنسان وهو خارج عن ماهيته، بينما الدافع مثير داخلي كما أبانت التعريفات.

ثالثا: الثقة بالنفس.

هذا المصطلح هو لب هذه الدراسة، وركنها الركين، وأصلها الأصيل، فقد كشفت المعاجم اللغوية اللثام عن حقيقة هذا المصطلح فذكرت أن الثقة: "مصدر قولك وثِقَ به يثِق، بالكسر فيهما، وِثَاقة وَثِقة ائْتَمَنه...والوثيق: الشيء المحكم، والوثيقة: الإحكام في الأمر...والوثاق في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة"(١)

هكذا أشار أهل اللغة إلى معنى الثقة، حيث الأمان، والإحكام، والإتقان، والشدة، والصلابة، وكلها مرادفات لكلمة الثقة تعنيها الدراسة.

التعريف الإصطلاحي للثقة في النفس: هناك العديد من السادة الاصلاحيين تناولوا هذا التعريف من جوانب مختلفة، لكن من أبرز تلك التعريفات التي راقت لي؛ تعريف هذا المصطلح بأنه: "الثقة بوجود الإمكانات

---

(١) لسان العرب، ج١٠، ص٣٧١، مادة وثق، مرجع سابق.

والأسباب التي أعطاها الله للإنسان، ليصبح صاحب شخصية قوية"[١]

من خلال هذا التعريف الماتع يتضح جليا أن الله تعالى استودع في كل نفس مقومات الثقة بداخلها، وهي ضمن مظاهر الفطرة التي فطر الله تعالى البشرية عليها، بيد أن البيئة المحيطة بالإنسان قد تتسبب في اهتزاز هذه الثقة، أو فقدانها بالكلية، ومن ثم باتت الحاجة ملحة إلى البحث عن أبرز سبل الوقاية والمقاومة؛ أملا في استعادة الثقة إلى نصابها الصحيح، وهذا هو أهم أهداف هذه الدراسة، ولعل الأمر يزداد وضوحا عبر المباحث التالية:

* * * * *

(١) قوة الثقة بالنفس: آرنولد كارول، ص٥، ط: الهلال – القاهرة.

المبحث الأول: التدليل المفرط

إن الناظر منذ الوهلة الأولى يلاحظ أن عنوان هذا المبحث يثير العديد من علامات الاستفهام؟! هل حقا إذا أحبت الأم ولدها وأفرطت في تدليله؛ أضرت به حيث أرادت النفع؟! وأفسدت حاله حيث أرادت الإصلاح؟! وكذلك الحال مع الأب الولهان؟! نعم التدليل في حد ذاته من الضروريات إلا أن الإفراط فيه من المحظورات، وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن ماهية هذا المصطلح؛ قبل البدء في البحث عن مظاهره وسبل الوقاية منه.

جاء في معاجم اللغة "دلله: تساهل في تربيته أو معاملته حتى جرؤ عليه"(١) وجاء أيضا "أدل عليه: وثق بمحبته فأفرط عليه"(٢) ومنه: "دلال المرأة إذا تدللت على زوجها"(٣)

وقد جاء التعريف الاصطلاحي أيضا متناغما مع تلك المعاني اللغوية، حيث أبان أن التدليل هو: "تحقيق كل رغبات الطفل بالشكل الذي يحلو له وبدون توجيه أي مسئولية حتى ولو كانت تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها"(٤)

أثناء تدويني لهذا التعريف الآن؛ يتردد في أذني أصوات هؤلاء الآباء الذين يتفاخرون دائما بأنهم لم يحرموا أبناءهم شيئا من متع الحياة الدنيا، فجاءوا لهم بكل ما لذ وطاب؛ من الطعام والشراب، وأغرقوهم في الملذات والشهوات، وظنوا

---

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٢٩٤ ط: دار الدعوة، بدون ت.

(٢) لسان العرب، ج١١، ص٢٤٧، مادة دلل، مرجع سابق.

(٣) كتاب العين: للفراهيدي، ج٨، ص٨، مادة دل، ط دار الهلال، بدون ت.

(٤) تربية الطفل بين القسوة والتدليل: آمال عمر خليل، ص٤٩، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.

بذلك أنهم يحسنون صنعا! ولم يدركوا أنهم في الحقيقة من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، والذي يعنينا في هذا المقام؛ أن هذا الإجمال في حاجة إلى تفصيل وبيان، ومن ثم إليكم المطالب التالية:

*****

المطلب الأول: العطاء العشوائي

لعلي لا أفارق الحقيقة إذا قلت: إن العطاء العشوائي بلا ضابط أو رابط؛ أحد الأسباب الرئيسة في فقدان الناشئة الثقة بأنفسهم، ويتضح ذلك بجلاء من عدة جوانب مختلفة؛ يمكن بيانها في النقاط التالية:

أولا: العطاء العشوائي يتسبب في صناعة شخصية هزيلة؛ لا تقدر على مواجهة الشدائد، وتجاوز العقبات والتحديات، والتي هي من طبيعة الحياة الدنيا، قال الله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ"[(١)] ليس هذا فحسب؛ بل يؤدي هذا النوع من العطاء إلى صناعة شخصية أنانية؛ لا تفكر إلا في إرضاء أطماعها، وإشباع رغباتها التي لم تنته أبدا، أضف إلى ذلك؛ أن الطفل الذي نشأ على التدليل المفرط منذ نعومة أظفاره؛ يصير شخصا عجولا؛ لا يتحمل تأجيل طلبه، وربما قابل ذلك بعصبية مفرطة.

هذه الأمور وغيرها دفعت خبراء التربية أن يقولوا بكل صراحة: "الرد على أبنائك بكلمة لا مئات المرات أكثر من كلمة نعم ينتج عنه أبناء أكثر سعادة"[(٢)] هذه السعادة وهي أحد أبرز علامات الاستقرار النفسي؛ لا تتأتى للناشئة إلا بالعطاء المنضبط بلا إفراط ولا تفريط فليتأمل.

---

(١) سورة البلد، آية ٤

(٢) كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظاما: آلان ديفيدسون، صـ٢٠٩، ط: مكتبة جرير، ط١، ٢٠٠٤م

ثانيا: العطاء العشوائي لم يكتف بصناعة شخصية عصبية هزيلة متقلبة المزاج؛ بل هو السبب الأول في تكوين شخصية إدمانية، وليس بالضرورة أن يكون الإدمان مرتبطا بتعاطي المخدرات؛ بل يصير مدمنا أيضا للشراء، ولا أغالي إذا قلت: إن الأخير أخطر وأشد!! وكيف لا؟! وهو أحد العوامل الرئيسة في مرض الاكتئاب فقد "ذكرت الجمعية الألمانية لطب النفس الجسدي والعلاج النفسي؛ أن إدمان التسوق غالباً ما يكون مؤشرا لأحد الأمراض النفسية، كالاكتئاب مثلاً"(١)

الأكثر غرابة من ذلك؛ هذه الدراسة التي أثبتت أن "٣٠% من مرضى الاكتئاب عندهم مرض الشراء"(٢) والذي يثير انتباهي في هذا المقام؛ أن هذه الأضرار التي تحدث جراء العطاء العشوائي؛ قد أدرك خطورتها الفاروق رضي الله عنه بفراسته؛ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، فقد قال للرجل الذي أسرف في شراء اللحم موبخا: "أَكُلُّ مَا اشْتَهَيْتُمُ اشْتَرَيْتُمُوهَا"(٣) إننا في مسيس الحاجة إلى تطبيق هذه المقولة العمرية على مستوى الأفراد والمجتمعات، ليس بغرض بناء أجيال تتمتع بصحة نفسية فحسب؛ بل لبناء أمم ودول ما زالت تعاني من أزمات اقتصادية حادة في وقتنا الراهن.

ثالثا: الأخطر من كل ما سبق؛ أن العطاء العشوائي لم ينته عند حد تكوين

---

(١) إدمان التسوق ربما يكون مؤشرًا للاكتئاب، المصري اليوم، بتاريخ الاثنين ٢٧/ أكتوبر/ ٢٠١٤م

(٢) هوس الشراء مرض نفسي يجب أن يعالج: عبير جلال، صدى البلد، بتاريخ الاثنين ٢٤/ نوفمبر/ ٢٠١٤م

(٣) المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ج٢، ص٤٩٤، ح٣٦٩٨، من رواية ابن عمر رضي الله عنهما، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

شخصية إدمانية مهووسة بجنون الشراء؛ بل يتجاوزها في بعض الأحيان إلى التفكير في الانتحار!!

ولا غرو في ذلك؛ فأكثر البلاد رفاهية على مستوى العالم؛ تحتل المراكز الأولى في معدل الانتحار، حيث كشفت "منظمة الصحة العالمية في آخر تقرير لها؛ أن أكثر من ثمان مائة ألف شخص ينتحرون سنويا حول العالم، بمعدل شخص كل أربعين ثانية، أغلبهم من الدول ذات الدخل المرتفع"(١) تأمل هذه الشريحة المجتمعية!! لم يفقدوا الثقة بأنفسهم فحسب؛ بل فقدوا النفس ذاتها!! والسر في ذلك أنهم سارعوا إلى تلبية كل ما اشتهت أنفسهم، وتهافتوا على متع الحياة الدنيا فزهدوها، ولم يبق أمامهم سوى تجربة الانتحار! فكانت بداية النهاية!!

رابعا: ماذا بعد أن فقدوا الثقة بأنفسهم، وتخلصوا من ذاتهم؟! إن هذه الشهوات والملذات التي أغرقوا أنفسهم فيها لم تغن عنهم من الله شيئا يوم القيامة، قال الله تعالى: "أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ"(٢) والأعجب من ذلك؛ أن هذه المتع الدنيوية التي تنافسوا فيها؛ ربما يحرمون من لذتها في الآخرة، فمن اشتهى الخمر وشربها في الدنيا حرمه الله من لذتها في الآخرة، ومن اشتهى الفاحشة وفعلها في الدنيا حرمه الله من متعتها في الآخرة، "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ..."(٣) كل هذه المآسي باعثها الأول والرئيس؛ أنهم أطلقوا العنان

---

(١) الصحة العالمية: حالة انتحار كل ٤٠ ثانية: محمد كامل، المصري اليوم؛ بتصرف، بتاريخ الجمعة ١١/ ٩/ ٢٠٢٠م

(٢) سورة الشعراء، ٢٠٥ – ٢٠٧

(٣) سورة سبأ، من آية ٥٤

لأنفسهم؛ فأفقدتهم السعادة في الدارين.

وهكذا بات واضحا ماذا فعل العطاء العشوائي بأبنائنا؟! بدءا من تكوين الشخصية الهزيلة العاجزة عن تخطي الصعوبات ومواجهة التحديات، ومرورا بالشخصية الإدمانية المجنونة بهوس الشراء، وانتهاء بالتفكير في الانتحار!! الأمر الذي يدفعنا بالضرورة إلى البحث عن سبل الوقاية والمقاومة، ويتضح ذلك جليا من خلال ما يلي:

أولا: هذه المخاطر التي ترتبت على العطاء العشوائي؛ تدفعنا بالضرورة إلى عدم الاستسلام المطلق لمطالب الأطفال، لاسيما إذا كانت هذه المطالب مصاحبة للإلحاح، لأن هذه الاستجابة تكوِّن لديهم شعورا بأن هذا الإلحاح هو الطريق الأمثل لتلبية رغباتهم، ومن ثم فإن الضرورة تستلزم إلى العطاء أحيانا والحرمان أحيانا كثيرة، ولا غرو في ذلك؛ فقد يكون المنع عطاء في حد ذاته!!

وما أروع ما قاله الإمام البوصيري[١] في هذا المقام: "والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم"[٢] فقد شبّه النفس في تهافتها على مطالبها؛ بالطفل في فترة الرضاع، إن لم تمنعه من الرضاع بعد مرور العامين صار شابا محبا له، وإن تم حرمانه منه صار هذا الحرمان عطاء له.

ثانيا: ينبغي تعليم الأطفال منذ نعومة الأظفار؛ أن الإنسان مهما أوتي من متع الحياة الدنيا وملذاتها؛ فلا حدود لإشباع رغباته، وإرضاء أطماعه، وهذا ما

---

(١) هو: "محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي، اشتهر بالبوصيري، أشهر أعماله البردة المسماة الكواكب الدرية في مدح خير البرية، كانت وفاته في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وست مائة" (الوافي بالوفيات: الصفدي، ج٣، ص٩٤ وما بعدها، ط دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)

(٢) بردة المديح: البوصيري، ص٨، ط: دار التراث.

أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"(١)

من هذا المنطلق يتضح جليا؛ أن العمر قد ينتهي والأماني لا تنتهي، ومن ثم ألحت الضرورة إلى تعويدهم على القناعة منذ نشأتهم؛ تلبية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ"(٢) ولمزيد من الإيضاح والبيان أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ"(٣) هذا الغنى لن يتأتى للإنسان إلا بالرضا، وإلا ظل ساخطا على أحواله، ناقما على أوضاعه، ومن ثم فهو من أشقى الناس.

ثالثا: تصحيح المفاهيم المغلوطة التي تزعم أن الإسلام يصادر الحريات، ويضيق الخناق على الناشئة، والحقيقة أن الدين الإسلامي الحنيف لم يرفض العطاء مطلقا؛ بل حث عليه مرارا، وإنما الذي يرفضه حقا هو العطاء العشوائي بلا ضابط أو رابط، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ

---

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٩٣، ح٦٤٣٩، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه، ط: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢م.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص١٢٧، ح٢٣٠٥، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث غريب، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م

(٣) صحيح البخاري، ج٨، ص٩٥، ح٦٤٤٦، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ"(١) لقد أبان النص النبوي صراحة أن النفقة على العيال أعظم أجرا من النفقة على المسكين؛ لكن بلا سرف ولا ترف، فقد قال الله تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(٢) وحسبنا أن هؤلاء المسرفين بعيدين عن محبة الله تعالي، وبين هذا الترغيب والترهيب يأتي هذا النص القرآني الذي يدعونا إلى التوسط في الإنفاق بلا إفراط ولا تفريط، فقد قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"(٣) فقد دلت الآية دلالة واضحة أن المسرفين والممسكين وجهان لعملة واحدة، وخير الأمور أوسطها، فليتأمل!

رابعا: من المعلوم لدى الجميع أن تشجيع الناشئة بالمكافآت من أهم الوسائل التربوية قديما وحديثا، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل هذا الأسلوب مرارا وتكرارا، ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ"(٤) كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد أحيانا المسابقات بين الأطفال، ويعد الفائزين منهم بالمكافآت، حيث "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُفُّ عَبْدَ اللهِ، وَعُبَيْدَ اللهِ، وَكُثَيِّرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ،

---

(١) صحيح مسلم، ج٢، ص٦٩٢، ح٩٩٥، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) سورة الأعراف، من آية ٣١

(٣) سورة الفرقان آية ٦٧

(٤) صحيح البخاري، ج٤، ص٩٢، ح٣١٤٢، من رواية أبي قتادة رضي الله عنه.

فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ"[1] من هذا المنطلق؛ إذا أردنا ترغيب الناشئة في القيام بعمل؛ أو تعديل سلوك ما؛ شجعناهم ببعض المكافآت المادية والمعنوية.

الإشكالية هنا؛ في هذا الطفل الذي زهد كل هذه الرفاهيات؛ كيف نكافئه إذا؟! قطعا هذه الأسرة التي ما زالت تتباهى بأنها لم تحرم ولدها شيئا؛ قد حرمت نفسها من أحد أهم الوسائل التربوية للناشئة، ولم يبق أمامها سوى أسلوب العقاب، وفي أغلب الأحيان لا يجدي نفعا مع هذه الرفاهية المفرطة، بل سيؤثر عليهم سلبا ويفقدهم ما تبقى لهم من الثقة بأنفسهم.

بعد عرض هذه الجوانب المختلفة من الواجبات الضرورية لمواجهة العطاء العشوائي؛ ننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر التدليل المفرط؛ ضمن البواعث الدافعة لفقدان الناشئة الثقة بأنفسهم حيث المطلب التالي.

*****

المطلب الثاني: الحماية الزائدة

لم تنته مظاهر التدليل المفرط عند العطاء العشوائي بلا ضابط أو رابط؛ بل تمتد إلى الحماية الزائدة للناشئة والتي قد تصل إلى الخوف المرضي عليهم؛ مما يسبب أيضا فقدان ثقتهم بأنفسهم، وإليكم بعضا مما تفعله هذه الحماية الزائدة بأبنائنا في العناصر التالية:

أولا: الحماية الزائدة هي إحدى الدوافع الرئيسة لنزوح الناشئة نحو الانطوائية والانعزالية، وقد كان هذا أمرا طبيعيا بعد منعهم من الاختلاط بأقرانهم بدعوى حمايتهم، ومن ثم انغلقوا على أنفسهم، فافتقروا إلى العديد من الخبرات الحياتية

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٣، ص٣٣٥، ح١٨٣٦، من رواية عبد الله بن الحارث، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ط: الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

والمهارات الاجتماعية، وهذا ما يؤكده التربويون أنفسهم حيث قالوا: "ويعاني الطفل ذو الحماية الزائدة من افتقار فى المهارات الاجتماعية، وكذلك يكون طفل منطوى، ولا يستطيع إقامة علاقات اجتماعية مع جماعة الرفاق، وغير قادر على تحمل المسئولية واتخاذ القرارات"(١) ومن اللافت للنظر أن هذه الحماية المفرطة لا تتصادم مع مقومات الثقة بالنفس فحسب؛ بل تتصادم أيضا مع النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة التي تدعونا إلى الاختلاط بالبشر، والصبر على إيذائهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"(٢) لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم مبكرا مدى الخوف الذي قد ينتاب البعض من الاختلاط بالبشر احترازا من إيذائهم؛ ومع ذلك دعانا إلى مخالطتهم، لأن الأضرار الناجمة عن انعزالهم أخطر وأشد! وهنا نلاحظ انسجاما واضحا بين الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة وما دعانا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

ثانيا: الحماية الزائدة لا تذهب بالناشئة فقط نحو شاطئ الانعزالية؛ بل تتسبب أيضا في حرمانهم من الفرص السانحة التي تساعدهم على التعلم، فهؤلاء الأطفال الذين يمنعهم الآباء من الخروج إلى الشارع؛ لا شك أنهم يفتقرون إلى العديد من الخبرات التعليمية من خلال التجارب العملية، والتعلم من الأخطاء، في حين أن عشرات الآيات القرآنية توجّه البشرية إلى السير في

---

(١) الحماية الزائدة للوالدين كما يدركها الأبناء وعلاقتها ببعض المهارات الاجتماعية: رشا مصطفى محمد، ص٧، ط: كلية التربية جامعة عين شمس.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص٢٤٣، ح٢٥٠٧، من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حديث صحيح.

الأرض للتعلم والبحث والاستكشاف، فكثيرا ما نقرأ في آي الذكر الحكيم: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا..."(١) بيد أن الحماية الزائدة تقف كعقبة كؤود في طريق البحث والاستكشاف، ومن ثم تضعف الشخصية، إن لم تفقد ذاتها مع مرور الوقت بالكلية.

ثالثا: الأخطر من كل ما سبق؛ أن الخوف المرضي على الناشئة قد يستمر من الوالدين حتى بلوغهم! وربما بعد تزويجهم! فمن خلال الواقع الذي نعايشه عن كثب؛ نلاحظ أن بعض الآباء قد يتدخلون بشكل سافر في حياة الأبناء وذلك بدعوى حمايتهم!! ولا شك أن هذا التدخل يمنح الناشئة شعورا بعدم قدرتهم على اتخاذ القرارات بأنفسهم، والعجز عن الاستقلالية، فضلا عن الشعور بالاختناق والرغبة في الابتعاد، مما يؤثر سلبا على ثقتهم بأنفسهم، حتى إن قدر الله تعالى لهذه الأسرة الاستمرار فإنها بلا شك ستنبت لنا أجيالا تعاني من تحديات نفسية! وكيف لا؟! والأبناء يرثون من الآباء أغلب الصفات الخلْقية والخُلُقية، وهذا ما أشار إليه الشاعر قائلا: "وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا، عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ"(٢) فالابن استمرار لأبيه، والأحفاد امتداد للأجداد.

وبعد هذا العرض الإجمالي لجانب من الأضرار الناجمة عن الحماية الزائدة؛ ألحت الضرورة إلى البحث عن بعض سبل الوقاية؛ وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: ينبغي أن يعلم المرء في البداية أن الحماية الزائدة للناشئة لا تغير من أقدار الله تعالى شيئا، ويتضح ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة النمل، من آية ٦٩

(٢) السحر الحلال في الحكم والأمثال: أحمد إبراهيم الهاشمي، ص١١٢، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

"وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ"(١) هذا الحديث وغيره يدل دلالة واضحة أن أقدار الله تعالى نافذة، وأن النفع والضر بيد الله وحده، قال الله تعالى "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(٢) ومن ثم فإن الأمر يستلزم أن نستودع الأبناء عند خالقهم، مع الأخذ بالأسباب في حمايتهم، لكن بلا إفراط ولا تفريط، لأن المغالاة في أخذ الحيطة والحذر يضرهم ولا ينفعهم، ويفسدهم ولا يصلحهم.

ثانيا: إذا كنا بصدد البحث عن سبل الوقاية من الخوف المرضي على الناشئة؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لنا أروع الأمثلة في تربية الناشئة على الشجاعة منذ نعومة أظفارهم، ويتضح ذلك جليا في ليلة الهجرة؛ حينما أمر عليا رضي الله عنه أن ينام في فراشه قائلا له: "نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيه"(٣) رغم علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد يتعرض للإيذاء في تلك الليلة، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ألم يكن عليا رضي الله عنه مدللاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! كلا؛ لقد كان من أكثر الفتيان دلالاً، فهو الذي قال له رسول الله صلى الله

---

(١) سنن الترمذي، ج٤، ص٢٤٨، ح٢٥١٦، من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٧

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص٤٨٢، ط البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

عليه وسلم: "أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ"(١) وهو الذي نقل لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ"(٢) ومع ذلك؛ لم يمنعه هذا التدليل من تربيته على المثابرة والشجاعة، فصار مضرب الأمثال في هذا الميدان، والروايات الواردة في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

ثالثا: رغم التسليم بأن الحماية الزائدة لا تغير من أقدار الله شيئا؛ إلا أن النصوص الشرعية أبانت لنا أن السبيل الوحيد لتغيير هذه الأقدار هو الدعاء، ويتضح ذلك جليا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ"(٣) ومن هذا المنطلق أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدد من الأدعية والأذكار لتحصين الناشئة؛ أذكر منها على سبيل المثال: قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ"(٤) ولا شك أن الحفاظ على هذه التحصينات النبوية بصفة يومية من أهم سبل الحماية لأبنائنا من شر الأشرار وعين الفجار، وفي الوقت ذاته لا تؤثر بالسلب على ثقتهم بأنفسهم.

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١٨٤، ح٢٦٩٩، من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٨٦، ح٧٨، مرجع سابق.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص١٦، ح٢١٣٩، من رواية سلمان رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٧، ح٣٣٧١، مرجع سابق.

رابعا: في إطار البحث أيضا عن سبل الوقاية؛ ينبغي أن نمنح الناشئة مساحة من الحرية يعتمدون فيها على أنفسهم، فليس بالضرورة كلما تعثر الطفل نهرع إلى مساعدته؛ بل ينبغي أن يتعلم القيام بنفسه، وليس بالضرورة كلما أراد المذاكرة أن نقوم بالمذاكرة بدلا منه، بل ينبغي أن يتدرب على التعلم الذاتي منذ نعومة أظفاره، وهكذا في كل مناحي الحياة، كثيرا ما أتساءل: ما الذي يمنعه بعد أن صار صبيا مميزاً من ترتيب غرفته بنفسه؟ وشراء مقتنياته بذاته؟! وما المانع من توليه ميزانية الأسرة شهرا؟ وما المانع من مشاركته لنا في الاحتياجات المنزلية؟ لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناشئة أنموذجا فريدا ومثالا خالدا في هذا الميدان، ويظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ"(١)

إن هذا الأنموذج الرائع يحمل بين طياته عشرات من الدلالات النفسية والرسائل الاجتماعية التي تمنح الناشئة الثقة بأنفسهم؛ أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على المشاركة الاجتماعية للناشئة، ويظهر ذلك بوضوح في إرساله لأنس رضي الله عنه لقضاء حاجته

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٠٥، ح٢٣١٠، مرجع سابق.

وهو لم يبلغ الحلم بعد، ولا شك أن هذه المسؤوليات تمنح الطفل الثقة بنفسه؛ وإلا صار شخصا اعتماديا.

٢- كان النبي صلى الله عليه وسلم يمنحهم حرية الرأي والتعبير عن أنفسهم، بل كان يمنحهم حق الرفض ويظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: والله لأذهب؛ مع عزمه على الذهاب في قرارة نفسه!

٣- كذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ضرورة فهم نفسية الأطفال، وحبهم الفطري للألعاب، وميلهم الغريزي لها، ويظهر ذلك في إقراره صلى الله عليه وسلم لفعل أنس رضي الله عنه؛ حينما رآه يلعب مع أقرانه في السوق؛ رغم بعثه في حاجة له.

٤- لقد كان أمرا متوقعا أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه اللوم والعتاب لأنس رضي الله عنه نظرا لانشغاله باللعب عن حاجته، بيد أنه قابل هذا التصرف بمشهد بديع تظهر فيه ملامح الجمال والجلال والدلال، حيث أمسك به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك مداعبا له قائلا: "يا أنيس" لمزيد من التدليل كما أبانت الرواية.

٥- رغم تكليف النبي صلى الله عليه وسلم للناشئة أحيانا ببعض الأعمال الشاقة؛ إلا أنهم كانوا يشهدون بلينه ورحمته ورأفته وشفقته صلى الله عليه وسلم، ويتضح ذلك بجلاء من قول أنس رضي الله عنه في هذه الرواية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا!

كانت هذه أبرز سبل الوقاية من مخاطر الخوف المرضي على الناشئة بدعوى حمايتهم، وأنتقل الآن بهذه الدراسة إلى باعث جديد ضمن البواعث الدافعة لفقدان الناشئة الثقة بأنفسهم، حيث المطلب الثالث من هذا المبحث.

****

المطلب الثالث: غياب التوجيه

لا أفارق الحقيقة إذا قلت: إن غياب التوجيه للناشئة؛ والعزوف عن تقويم سلوكياتهم الخاطئة؛ من أبرز مظاهر التدليل المفرط الذي يؤدي إلى فقدانهم الثقة بأنفسهم، وتظهر بواكير هذا الغياب للنصح والإرشاد في المراحل الأولى من عمر الطفل؛ أثناء تدريبه على تعلم الكلام؛ فتراه وما يزال يتلعثم في الحروف؛ يوجّه أحيانا سبابه نحو الوالدين؛ فتتعالى ضحكات المحيطين فرحا بولدهم المدلل! وربما نصحوه بتوجيه هذه المصطلحات السوقية إلى باقي أفراد العائلة! والبصق في وجوههم بدعوى المزاح!! هذه هي صورة واحدة من عشرات الصور التي تتكرر شبه يوميا في العديد من الأسر يشاهدها القاصي والداني؛ وإلا فصور غياب التوجيه الأسري أكثر من أن تحصى، والذي يعنينا في هذا المقام؛ أن الدين الإسلامي الحنيف أبان لنا أن الناشئة قبل بلوغهم وإن سقط عنهم التكليف؛ إلا أنه لم يسقط عنهم الاستماع إلى النصح والإرشاد والتوجيه، ويتضح ذلك جليا من خلال النقاط التالية:

أولا: يقول الصحابي الجليل عمر بن أبي سلمة[١] رضي الله عنه: "كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"[٢]

---

(١) هو: "عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي رضي الله عنه؛ ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وتوفي بالمدينة أيام عبد الملك بن مروان، سنة ثلاث وثمانين" (أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن الشيباني، ج٤، ص١٦٩، باختصار ط: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)

(٢) صحيح البخاري، ج٧، ص٦٨، ح٥٣٧٦، مرجع سابق.

هذا الأنموذج وحده يحتوي على العديد من الدلالات الدعوية والنفسية والاجتماعية يطول بنا المقام لعرضها، وحسبنا خمسة منها على سبيل النمذجة:

١- تصور لنا الرواية في صدارتها مشهدا بديعا من الدلال والجمال، والحالة النفسية التي كان عليها الأطفال؛ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا غرو في ذلك؛ فقد حدثت هذه الواقعة والغلام في حجر الرسول عليه الصلاة والسلام!! وظلت هذه الصورة البديعة في ذاكرته حتى صار شيخا كبيرا يرويها على مسامع الناس!!

٢- المشهد الأكثر جمالا؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم رغم تدليله للطفل؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من إسداء النصح والتوجيه حينما رأى منه سلوكا مرفوضا، ولم يتعلل بصغر سنه.

٣- أبانت الرواية من جانب آخر؛ كيف كانت نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم للغلام؟! هل تضمنت تلك النصيحة تحذيرا شديد اللهجة كما نرى من بعض الآباء في وقتنا الحاضر؟! بالطبع لا، وإنما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم نصيحته بقوله يا غلام؛ لمزيد من التدليل والتهيئة لقبول النصيحة.

٤- أظهرت الرواية أيضا أن النصيحة قد آتت أكلها، ويظهر ذلك في قول الراوي: فما زالت تلك طعمته بعد، أي: "أن أكله كان بعد ذلك على هذا النوع المذكور الذي أشار إليه"[(١)] وهذه دلالة واضحة أن النصيحة في وقت الدلال تؤتي ثمارها المرجوة؛ فضلا عن تحسن الصحة النفسية.

٥- الأهم من كل ما سبق؛ أن هذا الموقف زاد من ثقة الغلام بنفسه، وكيف لا؟ وقد سار يحكيه ويرويه ويتفاخر به، وما زالت روايته تروى إلى وقتنا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢١، ص٢٩، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون ت.

هذا؛ بل حتى قبل كتابة هذه الأسطر بسويعات! حين كانت تذكرنا ابنتي بآداب الطعام، وتردد نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم للغلام.

ثانيا: الموقف الثاني الذي يحمل لنا العديد من الرسائل الدعوية والدلالات النفسية والاجتماعية؛ لوقاية الناشئة من الانزلاق في براثن الشخصية الهزيلة؛ ما ذكره الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ حيث قال: "كَانَ الفَضْلُ[1] رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَشْعَمَ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ...."[2]

من القراءة الاستهلالية لهذا النموذج الفريد يتضح بجلاء ما يلي:

١- أول ما أثار انتباهي في هذه الرواية أن الفضل رضي الله عنه كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرديف هو: "الذي يركب وراء الراكب"[3] وهذا يدل دلالة واضحة أن الفضل رضي الله عنه كان في أوقات النزهة والمتعة والنشاط، مما يؤكد أن النفس هنا أيضا قد تهيأت لاستقبال النصح والتوجيه والإرشاد.

٢- من اللافت للنظر أيضا أن مصطلح الرديف لم يرد في هذه الرواية وحدها؛ بل تكرر في العديد من الروايات الأخرى حتى عثرت على

---

(١) هو: "الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث، وهو أكبر ولد العباس، وكان من أجمل الناس، توفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة" (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٤٩، باختصار، مرجع سابق)

(٢) صحيح البخاري، ج٢، ص١٣٢، ح١٥١٣، مرجع سابق.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٩، ص١٢٤، مرجع سابق.

كتاب بعنوان: "معرفة أسامي أرداف النبي صلى الله عليه وسلم"[١] جمع المؤلف فيه اثنين وثلاثين صحابيا؛ أردفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه؛ في مواقف ورحلات مختلفة، وقد لاحظت في كل رواية؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستثمر تلك الأوقات السعيدة لإسداء النصيحة بجمالها وجلالها.

٣- بالعودة إلى رواية الفضل التي نحن بصددها؛ نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم صرف وجه الفضل للحيلولة بينه وبين النظر إلى النساء، ولم يكتف بذلك بل أسدى إليه النصيحة كما جاء في رواية أخرى قائلا: "ابْنَ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَلِسَانَهُ، غُفِرَ لَهُ "[٢] الأمر الذي يؤكد أن النظر إلى النساء الأجنبيات بغير حاجة؛ من المحظورات الشرعية بنصوص القرآن والسنة، ولعل في ذلك رسالة واضحة إلى بعض الآباء؛ الذين يتركون أبناءهم بالساعات في خلوة مع الأجهزة الإلكترونية؛ وشبكة المعلومات العنكبوتية، رغم ما فيها من المشاهد الإباحية، دون إبداء أي توجيه إما تكاسلا أو تخاذلا أو هروبا من واقع المسؤولية.

٤- من الواضح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بتوجيه الفضل مرة واحدة؛ بل جعل يكرر التوجيه دون كلل أو ملل، ويتضح ذلك جليا في قوله: وجعل النبي يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، مما يدل على تكرار النظر، وتكرار التوجيه، لكن بلطف ولين.

ثالثا: النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أنموذجا فريدا في الرحمة

---

(١) الكتاب: لابن منده الأصبهاني، ط: المدينة للتوزيع – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٥، ص١٦٥، ح٣٠٤٢، من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال أبو حاتم وابن عدي: لا بأس به.

بالعيال؛ هو الذي قال لنا: "مُرُوا أولادكمِ بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ"[1] من الملاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى أنه ينبغي ألا نترك للناشئة الحبل على غاربه، لاسيما في الأوامر الشرعية، بل دعانا إلى تأديبهم في بعض الأحيان بالضوابط الشرعية عند تفريطهم في تلك الأوامر، أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم؛ يزخر بالعديد من الآيات التي تحكي لنا جانبا من مواعظ الآباء للأبناء؛ بلطف ولين، أذكر منها قول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ..."[2] إلى آخر الآيات التي نصحت الناشئة ببر الوالدين، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على البلاء، والتواضع وخفض الجناح، كل هذه الأدلة وغيرها تدل دلالة واضحة؛ أن توجيه النصيحة للأبناء بين الفينة والأخرى؛ بات أمرا ضروريا لا مناص منه، فلا يصح على الإطلاق أن نشاهد بأعيننا طفلا تخريبيا؛ عاث في أرجاء المنزل فسادا؛ ونتهاون في توجيهه بدعوى صغر سنه، أو الحفاظ على صحته النفسية، ولا ينبغي أيضا أن نرى الشاب وقد انزلقت أقدامه في براثن أصدقاء السوء؛ ونغض الطرف عن محاسبته، متعللين بنضجه ورشده، ولا يصح أيضا أن نترك الفتاة التي بلغت الحلم وقد كشفت عن رأسها أمام الأجانب، ونتغافل عن حجابها بدعوى الحفاظ على حريتها الشخصية!! لقد أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدوية في الآفاق؛ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

---

(١) سنن أبي داود، ج١، ص٣٦٧، ح٤٩٥، من رواية عمرو بن شُعيب، عن أبيه عن جده، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، ط: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

(٢) سورة لقمان، من آية ١٣

وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..."[1] هذه المسئولية تستلزم توجيههم بالموعظة الحسنة أحيانا، واللوم والعتاب أحيانا، والتأديب بالضوابط الشرعية أحيانا أخرى.

كانت هذه أبرز مظاهر التدليل المفرط للناشئة، وسبل الوقاية منها، بدءا من العطاء العشوائي، ومرورا بالحماية الزائدة، وانتهاء بغياب التوجيه الأسري، إلا أن هذه المظاهر ليست وحدها ضمن البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس لدى الناشئة؛ بل هناك بواعث أخرى أكثر ضررا وأشد تنكيلا؛ أميط اللثام عنها في المبحث التالي.

*****

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٥، ح٨٩٣، من رواية ابن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثاني القسوة الزائدة

إن القسوة الزائدة والتدليل الزائد كلاهما وجهان لعملة واحدة، وإذا كان التدليل الزائد يشكل خطرا على نفسية الأبناء؛ فإن القسوة الزائدة في الضرر أخطر وأشد، والحقيقة أن مظاهر القسوة بالناشئة في واقعنا المعاصر انتشرت بصورة يندى لها الجبين وتنفطر منها الأكباد حياء وخجلا، ويتضح ذلك جليا من خلال المطالب التالية:

*****

المطلب الأول: العنف البدني

لا يختلف اثنان أن العنف البدني بالناشئة يسبب لهم أضرارا نفسية وجسدية واجتماعية وتعليمية لا حصر لها، أميط اللثام عن بعض منها في النقاط التالية:

أولا الأضرار الجسدية: لك أن تتصور أن العنف البدني يسبب لضحاياه أحيانا "كسورا في عظام الرأس والأنف والوجه وسائر الجسم إذا كان الضرب قاسيا، وهناك من يحرق أجسادهم بالنار! ويجلدهم بالسلك الكهربائي..."[(١)] ومن خلال الواقع الذي أعايشه عن كثب؛ أشاهد أبناء ما زالوا يعانون إلى يومنا هذا من إعاقات حركية بسبب تعرضهم للعنف المتكرر من جانب الآباء على مرأى ومسمع من الجميع، ولا أذن تسمع ولا قلب يجيب!!

الغريب في الأمر؛ عند البحث عن البواعث الدافعة لهذا العنف الأسري؛ نلاحظ أن أغلبها دوافع هزلية! فهناك من الآباء من يقيم معركة طاحنة مع ولده

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي، صـ١٣٤، بتصرف يسير، ط: مكتبة الشباب المسلم، ١٩٥٥م.

الذي أضاع مصروفه؛ في حين أن هذا الولد أضاع الصلوات الخمس ولم يحرك الوالد ساكنا!! من هذا المنطلق؛ أمرنا الإسلام ألا نقيم لتوافه الأمور وزنا، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا"(١) إنها رسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولائك الآباء الذين أقاموا الدنيا من أجل آنية قد انكسرت، أو الملح الزائد في الطعام، وغيرها من الأخطاء التي يمكن أن نمر عليها مرور الكرام؛ ولا تستحق كل هذا الضجيج، وربما لا تستحق حتى اللوم والعتاب؛ طالما وقع الخطأ بغير قصد، الأخطر من كل ما سبق؛ حين يتضاعف هذا العنف البدني على الناشئة من البيئة الخارجية؛ فيصبح الطفل ضحية لعنف المعلم، وعنف الأقران، وعنف الجيران، فضلا عن عنف الوالدين، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"(٢) وحسبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ من هؤلاء الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة!

ثانيا الأضرار النفسية: من المعلوم لدى الجميع أن الأضرار النفسية الناجمة عن العنف البدني أشد خطرا من الأضرار الجسدية، فإذا كان الأخير يسبب خدوشا ظاهرية؛ فإن الأول يسبب آلاما باطنية؛ تستمر لفترات طويلة من العلاج؛ وحسبنا أن العديد من الدراسات الحديثة ما زالت تؤكد حتى وقتنا الراهن؛ أن العنف البدني "يفقر الطفل ويحرمه من حاجاته النفسية للقبول

---

(١) المعجم الكبير: الطبراني، ج٣، ص١٣١، ح٢٨٩٤، من رواية الحسين بن علي رضي الله عنهما، ط: دار الصميعي – الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

(٢) سنن الترمذي، ج٣، ص٣٨٦، ح١٩٢١، من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: حديث غريب.

والطمأنينة والمحبة"[١] هذا الرفض الذاتي والشعور بالكره من الآخرين؛ يؤدي قطعا إلى فقدان الناشئة الثقة بأنفسهم، ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام؛ أثناء لقائي مع الدكتور محمد الباهي[٢] أشار إلى عدد من الآثار السلبية للعنف البدني الواقع على الطفل والأم معا، مثل مص الأصابع، وقضم الأظافر، والتبول اللاإرادي، والعزل الاجتماعي، والتفكير الانتحاري! فضلا عن الحركات اللاإرادية، وغيرها من أعراض المشكلات النفسية.

ثالثا الأضرار الاجتماعية والتعليمية: لا يختلف اثنان في الأضرار الاجتماعية والتعليمية التي يسببها العنف البدني بالناشئة، فهذا الطفل الذي يتعرض للضرب المتكرر؛ يخشى الواقع، ويهاب المواجهات، وينخفض آداؤه الدراسي بشكل ملحوظ، مما يؤدي بالطبع إلى ضعف ثقته بنفسه؛ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"[٣] فمهلا ورفقا بمن أمرنا الله تعالى برحمتهم والشفقة عليهم، والذي يعنينا في هذا المقام؛ بعد إماطة اللثام عن بعض الأضرار الجسدية والنفسية والاجتماعية والتعليمية؛ الناجمة عن العنف البدني؛ ألحت الضرورة

---

(١) الأطفال المزعجون: د مصطفى أبو سعد، ص٢١٤، ط: الإبداع الفكري، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٢) هو استشاري المخ والأعصاب والطب النفسي، من مواليد محافظة المنوفية، وأحد الأسماء البارزة في مجال الطب النفسي على مستوى الشرق الأوسط، وقد تم نشر الحلقة المصورة بالصوت والصورة على الصفحة الرسمية للدكتور بتاريخ ٢٨ يونيو ٢٠٢٤م، رابط الحلقة https://www.facebook.com/reel/1636749647123213

(٣) صحيح مسلم، ج٤، ص٢٠٠٤، ح٢٥٩٤، من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها.

إلى البحث عن سبل الوقاية والمقاومة كما في الفقرة التالية.

سبل الوقاية:

ينبغي أن نعلم في البداية؛ أن القسوة الزائدة على الأبناء؛ لا تسهم على الإطلاق في علاج الأخطاء، وإنما تدفع الأبناء إلى المبالغة في إخفاء هذه الأخطاء، أما العلاج الحقيقي فيتجلى في النقاط التالية:

أولا التقويم بالمدح: هذا الطفل الذي فرّط على سبيل المثال في أداء الواجبات الدراسية؛ حين نعدد له جانبا من صفاته الحسنة؛ ونعزز هذا السلوك الإيجابي لديه؛ ثم نبين له أن هذه الصفات لا تتناغم ولا تتلاءم مع هذا التقصير الذي وقع فيه؛ قطعا هذا الأسلوب يؤدي إلى عدد من النتائج الإيجابية أضعاف الضجيج الذي يحدثه بعض الآباء؛ أثناء تقصير الأبناء في أداء الواجبات الدراسية، ومن اللافت للنظر أن هذه المنهجية الفريدة في التعامل مع الأبناء؛ كان يستعملها النبي صلى الله عليه وسلم في أغلب الأحيان؛ قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، أذكر من ذلك على سبيل المثال: قول النبي صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ"(١) تأمل!! النبي صلى الله عليه وسلم لاحظ أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يقصر أحيانا في قيام الليل، وكان من الممكن أن يأمره قائلا: قم الليل إلا قليلا، وقطعا سيلبي النداء؛ لأنه متيم كأبيه بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذا الأسلوب في التعامل مع الناشئة، فبدأ أولا بمدحه قائلا: نعم الرجل عبد الله! ثم أسدى إليه النصيحة في شكل اقتراح قائلا: لو كان يصلي من الليل!! هل من

---

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٤٩، ح١١٢١، من رواية السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

المتصور أن يفرط عبد الله رضي الله عنه بعد هذا الإطراء في قيام الليل؟! أجابت على هذا التساؤل أخته السيدة حفصة رضي الله عنها، حيث قالت: "فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا"(١) وكيف ينام والقلب يذوب حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لقد أضحى ليله كليل الأنبياء! فصلاة وسلاما عليك يا سيدي يا رسول الله.

ثانيا رؤية الوسائل التأديبية: من المعلوم يقينا أن التربية في طريقها الطويل؛ تحتاج في بعض الأحيان إلى أسلوب الترهيب؛ كحاجتها في كثير من الأحيان إلى أسلوب الترغيب، وإذا كنا قد اتفقنا سلفا أن العنف البدني أضراره بالناشئة أكثر من منافعه؛ فحسبنا من الوسائل التأديبية رؤيتها فقط، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ"(٢) ومن الواضح هنا أن الغرض الأساسي من وجود هذه الأداة التأديبية داخل البيت؛ هو الرؤية دون الاستعمال، ويتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم حيث يراه أهل البيت، اللهم إلا إذا كان الاستعمال نادرا وبالضوابط الشرعية، وهذا ما أميط اللثام عنه في الفقرة التالية.

ثالثا الضرب بالضوابط الشرعية: لا أخفي سرا؛ رغم الرفض القاطع لأسلوب الضرب في العديد من المدارس التربوية الحديثة؛ إلا أنه أحد الأدوات التأديبية التي لا غنى للمربي عنها، لاسيما مع الأطفال المعاندين، ومن تعلموا فنون الإجرام منذ نعومة الأظفار، ولا غرو في ذلك فإن من أمن العقوبة أساء الأدب، وحسبنا مشروعية الضرب في الإسلام؛ لكن بقيود وشروط وضوابط صارمة

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المعجم الأوسط: الطبراني، ج٤، ص٣٤١، ح٤٣٨٢، من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ط: دار الحرمين – القاهرة.

للغاية، أذكر منها:

١- أن يكون الضرب بعد سن العاشرة، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ"(١) فلم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الضرب لمن هو دون العاشرة.

٢- النهي عن ضرب الوجه بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ"(٢) ومن ثم فإن هذه الصفعات التي تترا على وجه الأبناء؛ من جانب بعض الآباء؛ لا يقبلها عقل، ولا يرضاها دين، ولا يتصورها منطق.

٣- ألا يكون الضرب موجعا، حتى لا يسبب آلاما نفسية، أو أضرارا جسدية، فقد قال الفاروق رضي الله عنه للمؤدب: "لَا يُرَى إِبطُك"(٣) فقد نهاه عن رفع يديه أثناء الضرب حتى لا يكون موجعا!! إذا كان هذا هو حال تأديب المجرمين؛ فكيف بتأديب المستضعفين؟!

٤- لا يزيد المؤدب عن العشر ضربات، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاَ عُقُوبَةَ فَوْقَ عَشْرِ ضَرَبَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ"(٤) وفيه نهي عن عن مجاوزة الحد في الضرب؛ للحيلولة بين الناشئة وبين الإرهاب النفسي، وإلا

---

(١) سنن أبي داود، ج١، ص٣٦٧، ح٤٩٥، من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم، قال شعيب الأنؤوط: حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري، ج٣، ص١٥١، ح٢٥٥٩، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أحكام القرآن: الجصاص، ج٣، ص٢٤١ ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

(٤) صحيح البخاري، ج٨، ص١٧٤، ح٦٨٤٩، من رواية عبد الرحمن بن جابر رضي الله عنه.

صار الضارب معتديا، وحسبنا أن الله تعالى قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"(١) وقال: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"(٢) فليتأمل!! أضف إلى ذلك أيضا؛ ينبغي أن يكون الضرب بعيدا عن أعين الناس، لا سيما أمام الأقران والأقرباء، حتى لا يصبح الطفل بعد ذلك ضحية للتنمر.

٥- ألا يكون الضرب متنفسا للمربي عن غضبه، حيث تؤكد الدراسات الحديثة أن "٩٥% ممن يضربون أبناءهم؛ لا يضربونهم لأسباب تربوية مقبولة، بل فقط للتنفيس عن غضبهم"(٣)!! وهذه حقيقة يلاحظها القاصي والداني؛ لقد بات الأبناء بيئة خصبة لتفريغ شحنات الغضب من جانب بعض الآباء، بدعوى أنهم قد أساءوا الأدب!! بيد أنهم في الحقيقة يخففون عن ضغوطهم الداخلية والخارجية!

كانت هذه بعض سبل الوقاية ضد العنف الأسري؛ الذي انتشر في واقعنا المعاصر بصورة لافتة للأنظار، والذي يؤدي بالطبع إلى فقدان الثقة بالنفس لدى الناشئة، ومن الجدير بالذكر أن هناك أشكالا أخرى للقسوة الزائدة لا تقل في الخطورة عن العنف البدني، ألقي الأضواء على بعضٍ منها في المطلب التالي.

*****

المطلب الثاني الإرهاب النفسي

بعد أن يتجاوز المربي كل فنون الإجرام؛ مثل الضرب بالسلك الكهربائي والحرق بالنار كما أبان المطلب السابق؛ يتهافت بعد ذلك أحيانا إلى أنواع

---

(١) سورة البقرة، من آية ١٩٠

(٢) سورة آل عمران، من آية ٥٧

(٣) الآن فهمتكم: كريم الشاذلي، صـ٢٠٢، ط: دار أجيال، ٢٠١١م.

أخرى من التعذيب؛ فيلجأ إلى الإرهاب النفسي!! ولك أن تتصور بعدما يصبح المربي إرهابيا بمعنى الكلمة!! ويتضح ذلك بجلاء من خلال النقاط التالية:

أولا التخويف بحكايات الأشباح: إن الأساطير الوهمية التي يلقيها بعض الآباء على مسامع الأبناء بغرض تخويفهم لا يمكن أن يحصيها عد، بل لا أغالي إذا قلت: إنها في حاجة إلى دراسة مستقلة؛ للوقوف على مدى الإيذاء النفسي الذي تسببه للناشئة، ومن خلال الواقع الذي أعايشه عن كثب؛ لاحظت أن هذه الخرافات قد اتخذت مسارات جديدة ومختلفة، حيث التطبيقات الإلكترونية التي تم تصميمها خصيصا لإرهاب الأطفال! ومن ثم السمع والطاعة للآباء، ومن بين هذه التطبيقات التي تعمدت استعمالها للتعرف على خطورتها؛ تطبيق "شرطة الأطفال" وهو معروف لدى الكثير من الأمهات، حيث يتيح التطبيق الاتصال بشخصية افتراضية تمثل الشرطة؛ والتي تخاطب الطفل عن طريق مكالمة وهمية؛ تقدم فيها تحذيرات بلهجة قاسية، وتهدده بالقبض عليه إن لم يتظاهر بالولاء والسمع والطاعة!! وبالفعل يقوم الطفل مسرعا في فزع وهلع!! وينفذ كل المطالب المنوطة به في التو والحال!! ثم تتعالى أصوات الضحكات من جانب الآباء والأمهات؛ فرحا ومرحا بهذه الجريمة التي شاركوا في صناعتها!! نعم؛ الطفل قد استجاب لمطالبهم، فأكل الطعام الذي كان يرفضه، وأتم أداء واجبه، ونام مبكرا، لكنه لم يدرك الأبوان آنذاك أنهما يصنعان بأيديهما شخصية هزيلة، مسلوبة الإرادة، عاجزة عن مواجهة التحديات، تعاني دائما من القلق والأرق والخوف المزمن!! الأمر الذي يدفعنا بالطبع إلى ضرورة البحث عن سبل الوقاية وهذا ما أميط اللثام عنه في الفقرة التالية.

سبل الوقاية:

إن سبل الوقاية من هذا الهزل والهراء؛ والكذب والافتراء؛ كثيرة؛ أذكر منها:

١- ينبغي الإشارة في البداية؛ إلى أن الخوف من الفطرة البشرية التي فطر الله العباد عليها، فالإنسان بطبيعته مجبول على الخوف من الحيوانات المفترسة، والحرائق المشتعلة، والزلازل، والبراكين وغيرها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالي: "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى"(١) أما هذا الخوف الذي نحن بصدده؛ هو الخوف المذموم؛ الذي يخالف الفطرة البشرية؛ كالخوف من الحيوانات الأليفة، وركوب المصعد الكهربائي، والخوف أيضا من مواجهة الجمهور، وبناء علاقات اجتماعية، هذه المخاوف هي التي في حاجة إلى مقاومتها فضلا عن سبل الوقاية منها.

٢- تجفيف المشكلة من منابعها واجتثاثها من جذورها، فإذا كانت مخاوف الطفل تتبع من أفلام الرعب الكرتونية؛ أو التطبيقات الإلكترونية؛ أو القصص الخرافية؛ فإن الأمر يستلزم إبعاد الطفل فورا عن هذه البواعث المثيرة لمخاوفه.

٣- عند إثارة المخاوف ينبغي على الآباء في المقام الأول؛ التحلي بالهدوء والثبات الانفعالي؛ حتى لا يتسرب خوف الآباء إلى الأبناء.

٤- إتاحة الفرصة للأبناء للتفاعل مع الأشياء التي تثير مخاوفهم، "فإذا كان الطفل مثلا يخاف من القطط؛ فيمكننا رواية القصص الجميلة عن القطط، ثم دورها في تطهير البيوت من الفئران، ثم استحضار صورة جميلة لها، وبعدها يمكنه مشاهدتها عن بعد، ثم عن قرب، ثم لمسها بيده، ثم بداية اللعب معها ومداعبتها"(٢) وهكذا نتعامل مع الأطفال في كل ما يثير مخاوفهم، ويؤرق مضاجعهم، فإذا كان الطفل يخاف من الظلام؛ فلا مانع من مداعبته

---

(١) سورة طه، آية ٦٧

(٢) الأطفال المزعجون، صـ١٣١، مرجع سابق.

بإطفاء الأنوار، وإذا كان يخاف من المياه؛ نهيئ له الأجواء ليلعب بها، ومن ثم نتمكن من تصحيح المفاهيم المغلوطة لديه حول هذه الأجسام المخيفة حتى تصبح مصدرا من مصادر الطمأنينة والسكينة.

٥- تدريب الناشئة على طرد الأفكار السلبية، والتركيز على التفكير الإيجابي؛ من خلال ترديد بعض الكلمات الإيجابية مثل: "أنا ولد شجاع، لا أخاف الظلام، ولا أخاف الحيوان، هذا الإيحاء الذاتي من أحسن أنواع العلاج النفسي، لما له من دور في برمجة العقل الباطن لدى الطفل"[١] ولعل هذا الإيحاء يدخل في باب حسن الظن بالله فيحقق الله له ما أراد.

٦- كذلك من أهم سبل الوقاية لتحرير الأبناء من شبح الخوف؛ أن نلقي على مسامعهم بين الفينة والأخرى جانبا من القصص البطولية لبعض الصحابة والتابعين، والذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في الشجاعة والمثابرة، وأذكر منها على سبيل المثال: قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة رضي الله عنه؛ حينما هددوه بإلقائه في النار إن لم يرجع عن دينه؛ فقال لهم: "كنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله"[٢] وانتهت القصة بتقبيل الصحابة لرأس عبد الله بن حذافة رضي الله عنه، لقد بلغت ثقة هذا الصحابي الجليل بنفسه؛ الرغبة في التضحية بنفسه مئات المرات في سبيل الله؛ دون تردد أو وجل؛ تلك هي النفس التي وثقت في نفسها، ووثقت في ربها ودينها، فعاشت آمنة مطمئنة.

ثانيا العصبية والصراخ في وجه الأطفال: هذا هو النوع الثاني من أنواع

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٣، ص٣٤٧، بتصرف واختصار، ط: دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الإرهاب النفسي؛ الذي يتسبب أيضا في شحن الأبناء بالعديد من العقد النفسية، حيث العصبية المفرطة، والصراخ الدائم، والضجيج المستمر، هذه البيئة الفوضوية لا أقول كفيلة بتكوين شخصية مرتعشة فحسب؛ بل فاقدة للثقة تماما بذاتها، ولذا كان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الدائمة: "لاَ تَغْضَبْ"(١) وكان يكررها مرارا، ولم يكتف بذلك؛ بل أبان أن صاحب الشخصية القوية؛ هو الذي يتحكم في ضبط النفس، وليس بالضرورة أن يكون مفتول العضلات، قادرا على مصارعة الآخرين فيصرعهم! ومن هذا المنطلق؛ أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"(٢) ولضمان الوصول إلى هذه الحالة من الثبات الانفعالي؛ أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سبل الوقاية من الغضب، وذلك على النحو التالي:

١- من المعلوم لدى الجميع أن الشيطان يصنع المستحيلات من أجل الحصول على لحظة واحدة من الغضب، لاسيما داخل الأسرة المسلمة، وكيف لا؟ وقد قال الشيطان الأكبر للذي فرق بين المرء وزوجه: "نِعْمَ أَنْتَ"(٣) وأشاد بجهوده بعد أن ضرب صفحا عن جرائم الآخرين! ولذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يشعر المرء بأنه قد أوشك على الغضب؛ أن يسارع بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، حيث قال حكاية عن الرجل الذي غضب أمامه: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ

---

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٨، ح٦١١٦، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٨، ح٦١١٤، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٦٧، ح٢٨١٣، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[١] وإلا صار ألعوبة في أيدي شياطين الإنس والجن.

٢- الاستعانة بوسيلة من وسائل الاسترخاء، ومن أجمل هذه الوسائل التي أرشدنا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أن يبدل الإنسان الحالة التي عليها وقت الغضب، حيث قال: "إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ"[٢] وبذلك يضمن الغاضب استقرارا نفسيا؛ بعد تنفيذه لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- أن يجاهد الإنسان نفسه قدر الإمكان، لأن النفس تميل مع الشيطان نحو الغضب، ومن ثم فهو في حرب ضارية مع عدو في الداخل وآخر الخارج، هذه الحرب الشعواء قطعا تحتاج إلى بعض المجاهدة، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ"[٣] لأنه من الصفات المكتسبة التي يتحصل عليها الإنسان بالمران والمجاهدة، حتى قال الأحنف بن قيس الذي كان يضرب به أروع الأمثلة في الحلم: "أَمَا وَاللهِ مَا أَنَا بِحَلِيمٍ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ"[٤] مما يدل على أنه كان يكظم غيظه مرارا وتكرارا؛ حتى صار حليما رائدا في هذا الميدان.

٤- كذلك من أبرز سبل الوقاية في هذا المضمار؛ أن يتعامل المرء مع الآخرين في وقت الغضب بشعرة معاوية رضي الله عنه، حيث قال: "لو أن

---

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٨، ح٦١١٥، من رواية سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٢) سنن أبي داود، ج٧، ص١٦٢، ح٤٧٨٢، من رواية أبي ذر رضي الله عنه، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٣) المعجم الأوسط: ج٣، ص١١٨، ح٢٦٦٣، من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) شعب الإيمان: البيهقي، ج١١، ص٥٥، ح٨١٦٨، ط:الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلّيتها، وإذا خلّوها مددتها"[١] هذه الشعرة تبين لنا فنون التعامل مع الإنسان الغضوب، حيث اللين في وقت شدته، والشدة في وقت لينه، وذلك لضمان إعادة الأمور إلى نصابها، ومن ثم حل المشكلة من جذورها، بل وأدها في مهدها.

٥- جدير بالذكر أن الغضب ليس مذموما على الإطلاق؛ بل هناك مساحة من الحرية يمكن للإنسان أن ينفس فيها عن غضبه، لاسيما إذا كان خالصا لوجه الله تعالى، وقدوتنا في ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ الذي ما كان يتمعر وجهه إلا إذا انتهكت محارم الله تعالى، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ"[٢] وعلى هذا إذا أضاع الأبناء الصلوات؛ وفرطوا في الواجبات؛ أو انتهكوا الحرمات؛ كان غضب الآباء هنا ممدوحا؛ بل أخذوا عليه أجرا، أما إن كان غضبهم هذا تنفيسا عن أنفسهم؛ أخذوا عليه وزرا.

٦- رسالتي الأخيرة إلى الشخص الغضوب؛ الذي ما زال يزعم أنه لا يستطيع أن يتخلى عن غضبه! ينبغي أن نطرح عليه هذه التساؤلات المشروعة: "لماذا لم تفقد أعصابك مع مدير العمل حين يطالبك بما تراه ظلما من وجهة نظرك؟! ولماذا لا تنفجر في وجه العميل السخيف الذي كان في مكتبك منذ فترة؟!"[٣] الإجابة المتوقعة في هذا المقام؛ سواء قالها بحاله أو بلسانه؛ هي

---

(١) عيون الأخبار: ابن قتيبة، ج١، ص٦٢، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٣٠، ح٦١٢٦، مرجع سابق.

(٣) الآن فهمتكم، صـ١٤٢، مرجع سابق.

ضمان الأمان الوظيفي، والحفاظ على المستقبل المهني، وهذا أمر مشروع، لكن ماذا بعد ما علم أن هذه العصبية قد تكون سببا في ذهاب صحته؟ وتفكك أسرته؟ وضياع أولاده؟ وفقدانهم ما تبقى لهم من الثقة بأنفسهم؟! أعتقد أننا في مسيس الحاجة إلى إعادة النظر في فقه الأولويات.

ثالثا إقحام الأبناء في الخلافات الزوجية: هذا هو النوع الثالث والأخير من أنواع الإرهاب النفسي بالناشئة، ولا أغالي إذا قلت: إن بسط الخلافات الزوجية أمام الأبناء؛ فضلا عن إشراكهم فيها؛ من أخطر أنواع الإرهاب الذي يؤثر على تكوين شخصيتهم، حيث أكد خبراء التربية أن "من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف الولد؛ احتدام النزاع، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم؛ في أعظم ساعات الاجتماع واللقاء"[(١)] وكيف لا؟ وهذه الخلافات الزوجية تكوِّن لدى الناشئة مشاعر البغض تجاه أحد الوالدين، والتعاطف مع الطرف الآخر، أو بغض الاثنين معا!! كما أنها تسهم في تكوين مفاهيم مغلوطة في ذاكرة الأبناء عن منظومة الزواج، مما يؤدي إلى عزوفهم عنه في المستقبل، وبالتالي ازدياد نسبة العنوسة، حتى إن قدر الله تعالى لهم الزواج بعد ذلك؛ فإن هذا الطفل الذي رأى إهانة أمه حال صغره؛ قطعا سيحاكي هذا السلوك مع زوجه في كبره، والأخطر من كل ما سبق؛ أن هذه الخلافات تدفع الأبناء إلى البحث عن رفقاء لهم؛ للهروب من جحيم الأسرة، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[(٢)] فإن كانوا

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام: صالح علوان، ج١، ص١٢٢، ط: دار السلام، ط١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص١٦٧، ح٢٣٧٨، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

رفقاء سوء؛ انزلقت أقدامهم في براثن الانحراف، كل هذا وغيره يدفعنا بالضرورة إلى البحث عن سبل الوقاية وذلك على النحو التالي:

١- ينبغي الإشارة في البداية إلى أن الخلافات الزوجية طبيعة بشرية، فلم يسجل لنا التاريخ إلى يومنا هذا؛ أن هناك أسرة عاشت على وجه الأرض قد نجت من تلك الخلافات، حتى بيت النبوة، فقد جاء في الرواية حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم: "وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ"(١) بيد أنه في الوقت ذاته؛ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع بأبنائه في تلك الخلافات الأسرية، بينما نرى في واقعنا المعاصر من يستخدم أولاده كورقة ضغط على الطرف الآخر.

٢- عند نشوب الخلافات بين الزوجين؛ واستحالة العشرة بينهما؛ أمرنا الله تعالى بالاحتكام إلى رجل من أهل الزوج؛ وآخر من أهل الزوجة، حيث قال الله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا"(٢) تأمل ختام الآية الكريمة؟! الله تعالى هو الأعلم بما يصلح عباده، الخبير بأحوالهم، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"(٣) فلو كان الاحتكام إلى الأولاد خيرا لهم؛ لما أمرنا الله تعالى برفع الخصوم إلى غيرهم، لا سيما إذا كان الأقرباء أولى بالمعروف من الغرباء.

٣- من المعلوم لدى الجميع أن الأسرة هي ركن الأمان؛ ونبع الحنان؛ لدى الناشئة؛ وبالتالي فإن نشوب هذه الخلافات الزوجية بين الفينة والأخرى؛

---

(١) صحيح مسلم، ج٢، ص١١١، ح١٤٧٩، من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة النساء، آية ٣٥

(٣) سورة الملك، آية ١٤

وبسطها أمام الأبناء؛ تصبح الأسرة هي المصدر الأول من مصادر القلق والأرق والإزعاج والاضطرابات النفسية بمختلف أشكالها وألوانها، كل هذا وغيره يدفعنا إلى إبعاد الأبناء عن الخلافات الزوجية للحفاظ على صحتهم النفسية.

*****

المطلب الثالث التهديد اللفظي

لم تنته مظاهر القسوة الزائدة بالناشئة عند العنف البدني؛ والإرهاب النفسي؛ بل تتجاوزها إلى التهديد اللفظي؛ الذي يشكل هو الآخر خطرا كبيرا وشرا مستطيرا بنفسية الأبناء، ويتخذ هذا التهديد أشكالا مختلفة في وقتنا الراهن، أميط اللثام عن جانب منها في النقاط التالية:

أولا التوبيخ الدائم والعتاب المستمر: إن الإفراط في التوبيخ والعتاب؛ أحد أخطر البواعث الدافعة لزعزعة الثقة لدى الأبناء، لا سيما إذا كان هذا اللوم والعتاب أمام الأقران، ولذا ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في هذا الميدان؛ إذ يقول الصحابي الجليل أنس ابن مالك رضي الله عنه: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"[1] كثيرا ما كنت أتساءل أثناء قراءتي لهذا الحديث؛ هل كان أنس بن مالك رضي الله عنه طائعا إلى هذا الحد؟! ألم يُغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليظل طوال هذه السنوات لم يلق عتابا واحدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! إن حادثة السوق وحدها التي مرت بنا عبر هذه الدراسة؛ كفيلة لا أقول باللوم والعتاب؛ بل بعقد جلسات من التأديب والتأنيب والتوبيخ، ولا أفارق الحقيقة إذا قلت: إذا

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٠٤، ح٢٣٠٩، مرجع سابق.

حدثت مثل هذه الواقعة في وقتنا الحاضر من أحد الناشئة؛ فإن العقوبات محققة والمشانق معلقة!! ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي بعثه ربه رحمة للعالمين.

والذي يعنيني في هذا المقام؛ أن هذا الأسلوب التوبيخي؛ الذي يغالي فيه الكثير من الآباء والأمهات في وقتنا الحاضر؛ في مسيس الحاجة إلى البحث عن سبلٍ للتحصين والوقاية من أضراره؛ ألقي الأضواء على بعضٍ منها في النقاط التالية:

١- من المقدمات التي ينبغي أن نسلم بها في البداية؛ الاعتراف بأن النفس البشرية من طبيعتها ارتكاب الأخطاء؛ وهذا ليس من زادي؛ بل أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"(١) والذي أثار انتباهي في هذه الرواية؛ حين تصدرت بكلمة "كل"؛ وهذا يدل دلالة واضحة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستثني أحدا من الأخطاء، صغيرا كان أم كبيرا، غنيا كان أم فقيرا، عالما كان أم جاهلا، الناس على اختلاف ألسنتهم وطبقاتهم وألوانهم قطعا سيخطئون لا محالة، كما أثار انتباهي أيضا كلمة "خطاء" وهي صيغة مبالغة من الخطأ؛ وهذا يعني أن المربي لن يخطئ مرة واحدة؛ بل عشرات الأخطاء التي لا حصر لها؛ لدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم قائلا: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"(٢) الأمر الذي يؤكد أن الأخطاء من الظواهر الصحية؛ فضلا عن كونها ضرورة بشرية؛ بشرط التوبة والإنابة،

---

(١) سنن الترمذي، ج٤، ص٢٤٠، ح٢٤٩٩، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث غريب.

(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٠٦، ح٢٧٤٩، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا آمنا بهذا؛ فإنه لمن السفه أن نقف عند كل الأخطاء؛ صغيرها وكبيرها؛ للتحقيق هنا والتدقيق هناك، أما الذين تغافلوا عن سفاسف الأمور؛ فقد هدأت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم، واستقرت جوارحهم، وعاشوا في أمان مع أبنائهم.

٢- إذا أصر الأبوان على توبيخ أبنائهم؛ فإنه ينبغي عليهما اختيار وقت مناسب لتصويب أخطائهم، فلا يصح على الإطلاق النهي عن الخطأ في وقت الغضب؛ لأن الحوار في هذا التوقيت سيقابل بالرفض والاعتراض؛ إن لم يقابل بالعصبية والعناد، وفضلا عن كل ما سبق؛ فإنه ينبغي أيضا عدم الإكثار من نصحهم فضلا عن توبيخهم، فقد أثار انتباهي باباً في صحيح الإمام مسلم يحمل عنوانا في غاية الجمال؛ وهو باب الاقتصاد في الموعظة، ومن بين الأحاديث الواردة في هذا الباب؛ قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"(١) وقد جاء في شرح المعاني لهذا الحديث؛ أن المراد بالسآمة هنا: "الملل"(٢) تأمل كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصحهم حتى لا يصيبهم الملل! مع أنه قد أوتي جوامع الكلم!! فكيف بمن أفرط في توبيخهم وأكثر من تأنيبهم؟!

٣- كذلك من أهم سبل التحصين والوقاية ضد خطر التوبيخ المرضي؛ هو الاستماع للمخطئين قبل توبيخهم، وقد علمنا رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٧٢، ح٢٨٢١، مرجع سابق.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، ج١٧، ص١٦٣، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

عليه وسلم فنون هذا الاستماع في العديد من الروايات، أذكر منها على سبيل المثال: حينما جاء عتبة بن ربيعة[١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والشر في عينيه "عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا فَرَغَ عُتْبَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت:٢]"[٢] الشاهد هنا: أن عتبة بن ربيعة كان ينكر نبوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ويساومه على ترك هذا الدين؛ ولم يخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بالنصيحة حتى سمع منه أولا، بل أنصت إلى حديثه بكل تؤدة وروية، وتأكد بأنه قد أفرغ كل ما لديه من الكلام عن طريق السؤال، فأجابه الخصم بالإيجاب، فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصحه وإرشاده بالقرآن، وهنا إشكالية كبرى يقع فيها العديد من السادة المصلحين؛ أثناء مواجهة المخطئين؛ إذ يكتفون بالاستماع عنهم بدلا من الاستماع منهم، ويصدرون أحكامهم المغلوطة جراء هذا الاستماع الفاسد، ومن المعلوم أن هناك فرقا كبيرا وبونا بعيدا بين من سمع منك وسمع عنك؛ فليتأمل!

٤- بعد الاستماع إلى المخطئين؛ ما أحوجنا إلى تدشين حالة من الحوار الفعال؛ لاسيما بين الآباء والأبناء؛ وخير من علمنا فنون هذا الحوار؛

---

(١) هو: "عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو الوليد القرشي، وكان شاعراً" (مختصر تاريخ دمشق: لابن عساكر، ج١٦، ص٤٨، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م)

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: أبو بكر البيهقي، ص٢٦٧، ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء إليه أحد الشباب وهو في سن التكليف؛ يطلب منه السماح له بارتكاب جريرة يهتز لها عرش الرحمن!! بنص الرواية: "يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ؛ مَهْ؛ فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ...[1] من الملاحظ هنا أن الشاب لم يرتكب خطأً يمكن أن نمر عليه مرور الكرام؛ بل يطلب الرخصة في كبيرة من الكبائر! وقد كان أمرا متوقعا أن يقابَل الطلب بالصد والعدوان، حتى هم الصحابة بتأديبه، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على يقين أن هذه الأساليب التأديبية لم تعد تجدي نفعا؛ لا سيما في هذه المرحلة الحرجة من العمر، ومن ثم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من الشاب بالحوار الهادئ أن يتبادل الأدوار، ويضع نفسه مكان الضحية، فما كان منه إلا أن يعترف بخطئه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن عادت الأمور إلى نصابها، وبانت له حجم الجريمة التي كاد يرتكبها، وما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا له بطهارة قلبه، وتحصين فرجه، وغفران ذنبه، فصلاة وسلاما عليك يا سيدي يا رسول الله.

٥- إذا باءت كل المحاولات السابقة بالفشل؛ وكان لزاما على الآباء؛ توجيه اللوم والعتاب إلى الأبناء؛ ألحت الضرورة في هذا المضمار أن يكون

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٣٦، ص٥٤٥، ح٢٢٢١١، من رواية أبي أمامة رضي الله عنه، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

العتاب على انفراد؛ بعيدا عن أعين الناس، ولهذا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"(١) كما طلب رضي الله عنه من رفاقه تصويب أخطائه بهذه الطريقة:

"تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي *** وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَه
فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ *** مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه
وَإِن خالَفتَني وَعَصَيتَ قَولي *** فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَه"(٢)

إذا كان هذا هو حال الإمام الشافعي؛ وهو في هذه المكانة العظيمة؛ والمنزلة الرفيعة؛ لم يقبل النصح في وسط الجماعة؛ واعتبره نوعا من التوبيخ تتأفف الأذن من استماعه؛ فكيف بالناشئة الذين لا يقبلون النقد مطلقا؟ بناء كان أم هداما؟! لا يختلف اثنان؛ في البون البعيد بين النصيحة والفضيحة؛ فانصح ولا تفضح.

ثانيا التحقير والإهانة: لم تنته مظاهر التهديد اللفظي عند التوبيخ الدائم؛ والعتاب المستمر؛ بل تتخطاه إلى تعمد بعض الآباء التحقير من شأن أبنائهم؛ وقصد إهانتهم؛ وإهدار كرامتهم، بل يزداد الأمر سوءا حين ننعتهم بصفات مذمومة ونجعلها ألقابا ملازمة لهم "فإذا كذب مرة ناديناه دائماً بالكذاب، وإذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير، وإذا احتال على أخته الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالمحتال، وإذا أخذ من جيب أبيه قلما ناديناه بالسارق، وإذا طلبنا منه كاس ماء للشرب فأبى؛ ناديناه بالكسول، وهكذا

(١) مناقب الشافعي: البيهقي، ج٢، ص١٩٨، مكتبة دار التراث – القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

(٢) ديوان الشافعي، ص٩٠، ط: الكليات الأزهرية – القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

نشهر به أمام إخوته وأهله من الزلة الأولى"[١] مما يؤدي إلى فقدانه الثقة بنفسه، الإشكالية الكبرى هنا أن الوالدين يمثلان المصدر الأول للمعرفة بالنسبة للأبناء، فإذا كان مصدر الثقة لديهم يخبرهم بأنهم من سلالة اللصوص؛ أو من شريحة الأغبياء؛ فإن الأبناء قطعا سيصدقونهم، وبالتالي تتحقق نبوءتهم عاجلا كان أم آجلا!! ولا غرو في ذلك؛ فقد "أجروا دراسة على عدد من المجرمين في أحد السجون؛ فلاحظوا أن ٩٠% من المسجونين كان زويهم يخبرونهم أن السجن سيكون هو نهاية المطاف بالنسبة لهم"[٢] من هذا المنطلق؛ قام علماء النفس والتربية بتوجيه رسالة إلى الذين فقدوا الثقة بأنفسهم مفادها: "إن أرادوا التغيير عليهم أن يمزقوا هذه الموروثات السلبية؛ ويزيلوا ما علق في أذهانهم من ترسبات الطفولة؛ والتي تؤسس عدم احترام النفس واستحقار الذات"[٣] هكذا أعلنوها بدون زيادة أو نقصان، لا بد من صناعة نهضة حقيقية ضد هذه الموروثات السلبية بشرها ومرارها لاستعادة مقومات الثقة في النفس، الأمر الذي يدفعنا في هذا المقام إلى ضرورة البحث عن سبل الوقاية والتحصين، وذلك للحيلولة دون الانزلاق في هذا المستنقع الخطير والشر المستطير، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

١- عند توجيه النقد لأحد الأبناء؛ ينبغي على المربي أن يفصل بين الفعل والفاعل، أي يميز بين الفاعل الذي ارتكب الخطأ؛ وبين فعل الخطأ ذاته، فإذا كان النقد موجها للأخير دون الأول فلا بأس؛ وإلا فلا، على سبيل المثال: "إذا تفوه الطفل بكلمة سيئة فيجب أن نقول له: هذه كلمة سيئة، بدلا من أنت

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية، صـ١٥٩، مرجع سابق

(٢) الآن فهمتكم، صـ١٤٦، مرجع سابق.

(٣) قوة الثقة بالنفس، ص٨٧، مرجع سابق.

إنسان سيئ"[١] وهكذا مع كل السلوكيات المفروضة؛ بدلا من أن نقول له: أنت لص كبير؛ حسبنا أن نقول له السرقة جرم عظيم، وبدلا من قولك: أنت كذاب؛ نكتفي بقولنا له الكذب حرام بكل المقاييس الشرعية والعرفية، وليس هناك فرق بين كذب وآخر؛ بل جميعه يهدي إلى النار.

٢- إلى جانب ذلك تعتبر الفلاتر الفموية من الوسائل الفعالة للوقاية، وهي على غرار الفلاتر المنزلية؛ لتنقية المياه من الشوائب، وجعلها صالحة للشرب، والاستعمال الآدمي، والأولى كذلك تعمل على تنقية الكلام من المصطلحات السوقية والألفاظ النابية، تزن الكلمات بميزان الشرع، إن كانت خيرا نطق بها؛ وإلا فلا، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[٢] فمن كان سكوته خيرا من كلامه فالصمت أولى به.

٣- في إطار البحث عن سبل الوقاية؛ ينبغي أن يعلم المربي أن الآيات القرآنية الصريحة؛ والأحاديث النبوية الصحيحة؛ رفضت كل ألوان التنمر اللفظي شكلا ومضمونا، فضلا عن احتقار الآخرين وازدرائهم، فقد قال الله تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ..."[٣] كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "لَيْسَ

(١) الآن أنت أب: كريم الشاذلي، صـ١٠٣، ط: دار اليقين-المنصورة، ط١٤٣٠،١هـ - ٢٠٠٩م

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٣٢، ح٦١٣٥، من رواية أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء، من آية ١٤٨

الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ"[1] ومن ثم فإن هذا المربي الذي يطلق العنان للسانه بلا ضابط أو رابط مشكوك في إيمانه، وفي مسيس الحاجة إلى تصحيح المسار.

٤- من جانب آخر؛ ينبغي علينا أن نقدم الدعم النفسي اللازم للمربي، وذلك للتخفيف من وطأة الضغوط الداخلية والخارجية، وإذا استمر في كلماته السوقية وألفاظه النابية؛ ألحت الضرورة لعرضه على إحدى العيادات الطبية المتخصصة في تعديل السلوك.

ثالثا الدعاء على الأبناء بالمرض والهلاك: لا أخفيكم سرا؛ كاد المداد بالجفاف أثناء تسطير العنوان لهذه الفقرة! إنها الحقيقة المرة؛ والواقع الذي لا مناص منه! لقد بلغت القسوة بقلوب بعض المربين لاسيما الأمهات بالدعاء على أبنائهم بالمرض والموت والهلاك! ومن خلال الواقع الذي أعايشه عن كثب؛ سمعت بأذني ذات مرة في إحدى الجلسات العرفية؛ امرأة تدعوا على ابنتها بهتك عرضها على شاب من غير دينها!! وحالي حينئذ كما يقول الشاعر المترنم:

"وَلِي كَبِدٌ مَقرَوْحَةٌ مَنْ يَبِيْعُنِي بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوْحِ
أباها عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَها وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلّةٍ بِصحِيْحِ"[2]

---

(١) سنن الترمذي، ج٣، ص٤١٨، ح١٩٧٧، من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهانى، جـ٢، صـ٨٧، ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ

هذه الأحداث وغيرها تدفعنا بالضرورة إلى البحث عن سبل الوقاية لتحصين الناشئة من هذا الهراء والعفن المجتمعي، وذلك على النحو التالي:

١- من الناحية الشرعية؛ أبان لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن دعاء الآباء على الأبناء مستجاب، حيث حذرنا قائلا: "لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ"(١) ولأهمية هذا الأمر وخطورته؛ كرر لنا النبي صلى الله عليه وسلم تحذيره في رواية أخرى قائلا: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ"(٢) فمن دعا على ولده بالهلاك هلك، ومن دعت على ابنتها بالمرض مرضت، لأن دعاءهم نافذ لا محالة! أضف إلى ذلك أن هذا الدعاء المذموم؛ من قبيل الاستعجال بالشر، قال الله تعالى: "وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ..."(٣) جاء في تفسير هذه الآية: "قولُ الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه"(٤) لعل كل

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص٢٣٠٤، ح٣٠٠٩، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٢) سنن الترمذي، ج٣، ص٣٧٨، ح١٩٠٥، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن.
(٣) سورة يونس، من آية ١١
(٤) تفسير الطبري، ج١٥، ص٣٤، ط الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

هذه التحذيرات الشرعية؛ كفيلة بكف الألسن عن الدعاء بالأذى على الأبناء.

٢- الاستعاضة عن الدعاء على الأولاد بالدعاء لهم، فلم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا على أحد من أبناء المسلمين، وإنما الذي ورد إلينا؛ وما يزال على الألسنة يتردد ويتجدد؛ هو دعاؤه صلى الله عليه وسلم للناشئة مرارا بالخير والبركة، فقد دعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قائلا: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ"(١) ودعا لأنس بن مالك رضي الله عنه قائلا: "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ"(٢) ودعا لأبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم قائلا: "اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"(٣) فمن كان متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاز في الدنيا والآخرة، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته، والنار مأواه.

٣- ينبغي أن يعلم الآباء أنهم هم الذين وحدهم يدفعون فاتورة الدعاء على الأبناء، فقد رأيت بعيني أما كانت تدعو على ولدها بهلاكه في حادث! وقد قدر الله تعالى لها ما أرادت؛ وأصيب ولدها

---

(١) صحيح البخاري، ج٥، ص٢٧، ح٣٧٥٦، من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٧٥، ح٦٣٤٤، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٣، ص٢٧٩، ح١٧٥٠، من رواية عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

في حادث أدى إلى بتر ساقه!! وظلت الأم تدفع وحدها فاتورة هذا الدعاء؛ ليس من مالها فحسب؛ بل من صحتها أيضا وحزنها على ولدها!

كانت هذه أبرز مظاهر التهديد اللفظي الذي انتشر في واقعنا المعاصر بصورة يندى لها الجبين وتنفطر منها الأكباد حياء وخجلا، وذلك بدءا من التوبيخ الدائم والعتاب المستمر، ومرورا بالتحقير والإهانة، وانتهاء بالدعاء على الأولاد بالمرض والهلاك، والآن ننتقل إلى باعث جديد ضمن البواعث الدافعة لفقدان الناشئة الثقة بأنفسهم؛ حيث التهميش المتعمد بمختلف صوره وأشكاله.

****

المبحث الثالث التهميش المتعمد

لم تتوقف البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس عند التدليل الزائد والقسوة الزائدة؛ بل ما يزال العرض مستمرا؛ حيث نسلط الأضواء في هذا المبحث على التهميش المتعمد من جانب بعض الآباء للأبناء، وعند تحرير المصطلح يلاحظ أن الشيء المهمش هو: "قليل الأهمية"[١] ومنه هامش الكتاب؛ أي: "حاشية الكتاب"[٢] وبالفعل إذا نظرنا إلى حاشية هذه الدراسة التي نحن بصددها؛ نلاحظ أنها في أدنى الصفحة، وخطها أصغر حجما من المتن، مما يدفع البعض إلى تهميشها ظنا منهم أنها من الأمور الثانوية؛ بيد أنها في الحقيقة لا تقل عن المتن في الأهمية؛ إن لم تزد عليه، وكيف لا؟ وبدون العزو إليها لا تقبل الأبحاث العلمية، وهكذا بعض الآباء في التعامل مع الأبناء، يتعمدون تهميشهم في مختلف مناحي الحياة، ويتضح ذلك بجلاء من خلال المطالب التالية:

*****

المطلب الأول التهميش العاطفي

يعد هذا النوع من أخطر أنواع التهميش ضررا بالناشئة؛ حيث يفقد الطفل معه كل مظاهر الحنان والأمان والاهتمام من والديه، إما لقسوة قلوبهم؛ وإما لانشغالهم بالشاشات الإلكترونية؛ التي باتت من أخطر آفات العصر الحديث، وفي هذا المقام يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

---

(١) معجم الصواب اللغوي: أحمد مختار عمر، ج١، ص٢٦٨، ط: عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢، ص٩٩٤، مرجع سابق.

"لَيسَ اليَتِيمُ مَن انتَهَى أبَوَاهُ مِن هَمِّ الحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلا
فَأَصَابَ بالدُّنيَا الحَكِيمَةِ مِنهُمَا وَبحُسْنِ تَربِيَةِ الزَّمَانِ بَدِيلا
إنَّ اليَتِيمَ هُوَ الذِي تَلْقَى لَه أمَّا تَخَلَّتْ أو أبًا مَشْغُولا"[1]

يصور أمير الشعراء الواقع المرير الذي نحياه وكأنه يعيش بين أظهرنا، حيث وصف الطفل الذي انشغل عنه أبواه باليتيم! فيعيش في هذا العالم وحيدا غريبا فريدا! ومن ثم ألحت الضرورة إلى البحث عن سبل الوقاية من هذا التهميش المتعمد للعاطفة وذلك على النحو التالي:

أولا تقدير الذات: لقد رأيت بعيني في واقعنا المعاصر أطفالا يتمارضون! نعم؛ ليسوا بمرضى ولكنهم يتظاهرون بالمرض؛ من أجل الحصول على جرعة واحدة من الاهتمام والاحتفاء، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدا في هذا الميدان، فكان إذا رأى الصبيان في طريقه لم يمر عليهم مرور الكرام؛ بل كان يصافحهم بحرارة واهتمام، كما جاء في الرواية: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِالْغِلْمَانِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ"[2] يا الله!! أرأيتم مثل هذا الجمال؟! في الوقت الذي يستنكف فيه الكثيرون وربما يتأففون من معاملة الأطفال؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يصافحهم على مرأى ومسمع من الجميع، تقديرا لذاتهم، واحتراما لشأنهم، واعترافا بفضلهم.

ثانيا مصاحبة الأطفال: بعد البحث والدرس والفحص في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفنون تعامله مع الأطفال؛ لاحظت أنه لم يكتف بمصافحتهم أثناء المرور عليهم؛ بل كان يصاحبهم أحيانا في الطرقات! يقول أنس بن ملك رضي الله عنه: "إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ

(١) الشوقيات: أحمد شوقي، ص٢٤٧، ط: كلمات عربية – القاهرة، ٢٠١١م.
(٢) المعجم الأوسط: ج٨، ص٤٣، ح٧٩٠٥، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ"[١] لا أخفيكم سرا؛ أثناء مروري على مثل هذه الروايات؛ كثيرا ما كنت أتساءل: أكان النبي صلى الله عليه وسلم لديه رفاهية الوقت إلى هذا الحد؟! كلا؛ لم تكن لديه أوقاتا شاغرة على الإطلاق، لا ليلا ولا نهارا، ولا غرو في ذلك؛ لقد كان في الليل قائما بين يدي مولاه، تلبية لنداء ربه: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا"[٢] وبالنهار داعيا إلى الله تعالى مبشرا ونذيرا، تلبية لنداء ربه: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ"[٣] ومع ذلك كان في تعامله مع الأطفال؛ مثالا خالدا وأنموذجا فريدا.

ثالثا التعبير اللفظي عن مشاعر الحب للأطفال: وذلك بإسماعهم أعذب الكلمات وأشهى العبارات وأطيب المصطلحات، وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: "أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أخذ بيدِه وقال: "يا معاذُ واللهِ إني لأحِبُّك، فقال: أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاةٍ تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك"[٤] عند قراءتي لهذه الرواية لاحظت فيها من الأنوار النبوية؛ ما لا يحصيه عد، وحسبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بحاجة إلى التعبير عن حبه للناشئة، بيد أنه تعمد التعبير عنه باللسان؛ فضلا عن الجوارح والأركان، ولم يكتف بذلك؛ بل أقسم عليه رغم أنه الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، ولم تنته الأنوار المحمدية عند هذا الحد؛ بل أردف حبه هذا بنصيحة ما زالت تتردد وتتجدد على ألسنة الملايين من البشر إلى يومنا هذا.

---

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٠، ح٦٠٧٢، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة المزمل، ١، ٢

(٣) سورة المدثر، ١، ٢

(٤) سنن أبي داود، ج٢، ص٦٣١، ح١٥٢٢، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

رابعا التعبير الجسدي عن محبة الأطفال: جدير بالذكر أن التعبير اللفظي عن الحب لا يكفي وحده للإشباع العاطفي؛ بل ينبغي أن يصاحبه التعبير بالجسد؛ عن طريق تقبيل الأبناء والتزامهم، وهذا ما كان يفعله أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها حكاية عن السيدة فاطمة رضي الله عنها: "كانت إذا دَخَلَتْ عليه قام إليها، فأخذ بيدها، وقبَّلَهَا، وأجلسَها في مجلسه"(١) يا الله!! كاد قلبي أن يذوب من فرط جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن حرارة الاستقبال وحدها يعجز عن وصفها اللسان! لم يكتف بالقيام إليها، ولم يكتف بأخذ يديها، ولم يكتف بتقبيل جبينها، بل أجلسها في مجلسه، هذا المكان الذي ازدان شرفا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم نسمع يوما عن فاطمة رضي الله عنها أنها عانت من الفراغ العاطفي، أو فقدان الاهتمام، لأن أباها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ملأ حياتها حبا وودا ونورا وبركة صلى الله عليه وسلم.

خامسا الاستجابة لمطالبهم المشروعة: لضمان الإشباع العاطفي لدى الناشئة؛ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستجابة إلى مطالبهم المشروعة، وقد تكون هذه المطالب مادية وقد تكون معنوية، ولمزيد من الإيضاح والبيان؛ إليكم هذا الأنموذج الفريد؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"(٢) إن المتأمل في هذه الرواية بعناية يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في صلاة الجماعة، يصلي بالناس إماما، وكانت لديه الرغبة الجامحة للإطالة في الصلاة، حيث الخشوع

---

(١) سنن أبي داود، ج٧، ص٥٠٦، ح٥٢١٧، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، ج١، ص١٤٣، ح٧٠٧، من رواية أبي قتادة رضي الله عنه.

والخضوع والتذلل بين يدي الله، بيد أنه صلى الله عليه وسلم حين سمع بكاء الصبي؛ غض الطرف عن كل رغباته استجابة لنداء الصبي، وشفقة ورحمة بأمه!! حبيبي يا رسول الله ما أحلمك؟! وما أجملك؟! وما أرحمك؟! وما أعظمك؟! حسبنا أن الله تعالى قال في شأنك: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(١) لكن ترى لو تكررت مثل هذه الواقعة في زماننا؟! وكثيرا ما تتكرر في مساجدنا؛ ماذا عن ردود أفعال المصلين الموحدين؟ كيف يتعاملون مع الصبي وأمه؟! أفضل العزوف عن الإجابة على هذا التساؤل، لأن الواقع المرير خير شاهد ودليل.

سادسا تعزيز السلوك الإيجابي: إذا كنا بصدد البحث عن سبل الوقاية من الفراغ العاطفي؛ فإننا في مسيس الحاجة إلى تعزيز السلوكيات الإيجابية لديهم، وذلك بتسليط الأضواء عليها، ومدحهم على هذا السلوك بين الفينة والأخرى، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنون هذا التعزيز الإيجابي مرارا وتكرارا، وخير شاهد على ذلك: حينما استمع لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن؛ حيث حيث قال له: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ"(٢) الرواية في حاجة إلى العديد من الوقفات الجمالية والإنسانية؛ وحسبنا أن الناظر منذ الوهلة الأولى؛ يلاحظ أن أبا موسى رضي الله عنه كانت لديه حنجرة ذهبية فريدة من نوعها، وقد ظهرت هذه الموهبة وهو يتغنى بالقرآن، بصوت من أصوات الكروان، وكان من الممكن أن يمر النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الموقف مرور الكرام، لا سيما وهو يستمع للقراءة دون أن يراه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم تعمد أن يعزز هذه الموهبة لديه في الصباح

(١) سورة القلم، آية ٤

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٥٤٦، ح٧٩٣، من رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

مؤكدا له أنه يمتلك صوتا من أصوات السماء! فرجع أبو موسى رضي الله عنه إلى أهله فرحا مسرورا بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم! هذا الموقف بجماله وجلاله ودلاله يفسر لنا سر هذا التهافت الواضح من الناشئة على وسائل التواصل الاجتماعي، والعزوف عن التفاعل مع أقرانهم في العالم الحقيقي، لأنه حين يعبر عن مشاعره في العالم الافتراضي؛ أو ينشر صورته عبر هذا العالم؛ تنهال عليه عشرات التفاعلات والإعجابات؛ والكلمات المعسولة في التعليقات، حيث يصفونه بالشهامة، والوسامة، والنخوة، والغيرة، والرجولة، وغيرها من أعذب الكلمات، وأشهى العبارات؛ التي فقدها في الواقع الحقيقي، مما يدفعنا إلى إعادة النظر في تعاملاتنا مع مشاعر الأطفال، ومن ثم تصحيح المسار، والعودة إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف مناحي الحياة.

****

المطلب الثاني التهميش الاجتماعي

بعد أن أبانت الدراسة جانبا من المخاطر التي تترا على الناشئة جراء التهميش العاطفي؛ ألقي الأضواء في هذا المطلب على نوع جديد من أنواع التهميش المتعمد للناشئة وهو التهميش الاجتماعي؛ والذي يشعر فيه الناشئ بالرفض من المجتمع الخارجي ككل، وهو لا يقل في الضرر عن التهميش العاطفي؛ إن لم يكن في الضرر أخطر وأشد، والنماذج الدالة على التهميش الاجتماعي كثيرة للغاية؛ يطول بنا المقام لعرضها؛ وحسبنا منها هذا المشهد الذي يتكرر شبه يوميا مع أبنائنا؛ لا سيما مع هذا الصبي المميز الذي ذهب إلى المسجد مبكرا؛ وفاز بقصب السبق إلى الصف الأول؛ بيد أن الأمية التربوية دفعت بعض الآباء إلى الإمساك به بدون سابق إنذار، وإبعاده عن

الصف الأول بدعوى صغر سنه، وربما صبوا عليه اللعنات وقاموا بطرده من المسجد بلا ذنب ولا جريرة!!

هذا السلوك السلبي وإن سمحت به بعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية؛ إلا أنه مرفوض من الناحية الشرعية؛ فقد ذهب الفقهاء إلى أنه "لَا يُحَوَّلُ صِبْيَانٌ حَضَرُوا أَوَّلًا لِرِجَالٍ حَضَرُوا ثَانِيًا؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ"(١) والذي يعنيني في هذا المقام؛ أن هذا التهميش المتعمد لم ينته عند المساجد وحدها؛ بل يمتد ليشمل المدارس التعليمية، والنوادي الرياضية، والمحافل الاجتماعية، ولا غرو في ذلك؛ فمن خلال الواقع الذي أعايشه عن كثب؛ بدأت ألاحظ في الآونة الأخيرة بعض الظواهر الغريبة في أفراحنا والوافدة إلينا من بلاد الغرب؛ حيث تشترط العروس على المدعوين عدم اصطحاب الأطفال معهم في ليلة العُرس، وأثناء حضوري إحدى هذه الأعراس العنصرية ذات مرة؛ رأيت أمن القاعة بالفعل يمنع الأسرة التي تصطحب الأطفال معها من الدخول؛ بدعوى الحفاظ على هيبة الفرح ووقاره!! ومما لا شك فيه أن هذه الظواهر الاجتماعية وغيرها؛ من أخطر البواعث الدافعة لفقدان الناشئة الثقة بأنفسهم، ومن ثم كان لزاما علينا البحث عن سبل التحصين والوقاية وذلك على النحو التالي:

أولا المشاركة في صنع القرارات المصيرية: مما لا شك فيه أن الأسرة التي كفلت لأفرادها حرية الرأي والتفكير والتعبير؛ تتمتع بترابط أسري وسلام نفسي عز عن النظير، هذه الأسرة عند صناعة القرار؛ لا تفرق بين رأي الصغير والكبير؛ ليقينها أن الصغير على ضعفه ربما فاق الكبير بتصوراته!! وكيف لا؟ وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب: أبو يحيى السنيكي، ج١، ص٢٢٣، ط: دار الكتاب الإسلامي.

بِضُعَفَائِكُمْ"[١] ولعل هذا الذي يفسر قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ..."[٢] كيف كان عضوا في مجلس الشيوخ وهو في هذا السن الصغير؟! إن الناشئ عندهم كان صاحب رأي ومشورة وكلمة نافذة، يتباحث معهم في قضايا الأمة، ولا غرو في ذلك؛ فقد أخبرنا القرآن الكريم؛ أن نبي الله سليمان عليه السلام أدلى بدلوه في مسألة؛ وكان رأيه مغايرا لرأي أبيه؛ فقال الله في شأنه: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا"[٣] أما الأسرة التي تعمدت تهميش أفرادها؛ وضربت بآرائهم عرض الحائط؛ فلا شك أنها تعاني باستمرار من الحرمان العاطفي، والاضطراب النفسي، وتفتقر دائما إلى الدفء الأسري، وكيف لا؟ وفرعونها الصغير يخاطبهم في الصباح والمساء: "مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"[٤] من هذا المنطلق؛ حثنا القرآن الكريم على التشاور في كل ما يطرأ علينا من أمور حياتنا، فقد قال الله تعالى: "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"[٥] بل أنزل الله تعالى سورة كاملة في القرآن الكريم باسم الشورى، وذلك لفتا للأنظار لمدى أهميتها في إدارة شؤون الحياة وفرض الاستقرار.

ثانيا دعهم يشعرون أنهم فعلوها بأنفسهم: من المعلوم لدى الجميع؛ أن الناشئة في سني عمرهم الأولى يمرون بالعديد من النجاحات، ويحققون الكثير من الإنجازات، والتي لا يمكن أن نغض الطرف عنها على الإطلاق، أو

---

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص٣٦، ح٢٨٩٦، من رواية مصعب بن سعد رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص١٤٩، ح٤٢٩٤، مرجع سابق.

(٣) سورة الأنبياء، من آية ٧٩

(٤) سورة غافر، من آية ٢٩

(٥) سورة الشورى، من آية ٣٨

نعزوها إلى غيرهم، أو ننظر إليها نظرة هامشية ثانوية، بل ندعهم يستمتعون بلذة النجاح، ونشوة الإنجاز، حتى إن كان لهم فيه شركاء، ومن ثم يشعرون بأنهم كانوا ركنا ركينا وأصلا أصيلا في تحقيقه، أذكر من ذلك على سبيل المثال: حين يقدر الله تعالى لأولادنا التفوق في إحدى السنوات الدراسية؛ فلا يصح على الإطلاق أن ننسب هذا التفوق إلى الأموال التي أغدقناها عليهم، أو إلى السادة أعضاء هيئة التدريس الذين اخترناهم بعناية، أو إلى المتابعات المستمرة حتى الحصول على أعلى الدرجات، بل ينبغي أن نشعرهم بأن هذا التفوق بسبب الجهود المضنية التي بذلوها في هذا المضمار، فكان توفيق الله تعالى حليفهم، ولا أخفيكم سرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنموذجا فريدا في هذا الميدان، وخير شاهد على ذلك: حينما جاء إليه غلامان يتسابقان فرحا؛ يزفان إليه البشرى بقتل أبي جهل الطاغية؛ بنص الرواية: "فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟، قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: كِلاَكُمَا قَتَلَهُ"[1] هكذا أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زلنا نرددها حتى يومنا هذا؛ نهاية طاغية هذه الأمة على يد غلامين من غلمان الصحابة رضوان الله عليهم، ولك أن تتخيل مدى النشوة والسعادة التي كان يشعر بها الناشئان أثناء إعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الانتصار العظيم!! بيد أنه قبل هذا الإعلان طلب منهم البينة حتى لا ينسب إليهما انتصارا وهميا! فصلاة وسلاما عليك يا سيدي يا رسول الله.

---

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص٩١، ح٣١٤١، من رواية عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده.

ثالثا منح الناشئة حرية الرفض: لا أغالي إذا قلت: إن قول "لا" في بعض الأحيان؛ من الظواهر الصحية التي تدل على القوة في الشخصية، والتمتع بالاستقلالية، والسمات القيادية، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنح الناشئة الحرية في رفض ما لا يرونه مناسبا من وجهة نظرهم، وخير شاهد على ذلك: ما جاء في صحيح البخاري؛ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه؛ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟، فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ"(١) إن الدلالات الدعوية والنفسية والاجتماعية الواردة في هذا الحديث أكثر من أن تحصى؛ وحسبنا منها ما يلي:

١- تأمل أين كان يجلس الغلام؟! إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالسماح للأطفال الصغار حضور مجالس الكبار فحسب؛ بل أعطاهم الحرية الكاملة في اختيار أفضل المواقع الاستراتيجية في هذا الاجتماع، حيث الجلوس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أكثر ما أثار انتباهي في هذه الرواية؛ هو استئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم للغلام وسط هذا الجمع الغفير من الناس، لك أن تتخيل نفسية الغلام آنذاك!!

٣- كان أمرا متوقعا أن يفزع الغلام مستجيبا ملبيا لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بيد أن المفاجأة التي لم تخطر على بال؛ أن الغلام يرفض الطلب وبكل صراحة، ولم يكتف بذلك بل أماط اللثام عن المبررات

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١٣٠، ح٢٤٥١، مرجع سابق.

المقنعة لهذا الرفض!! حيث أبان أنه ينتظر هذه اللحظة السانحة التي يشرب فيها من موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم!!

٤- الأجمل من كل ما سبق؛ هو اعتراف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحقية الغلام في هذا الرفض؛ فلم يصادر على الطفل حريته؛ بل ناوله الإناء ليشرب هنيئا مريئا في مشهد بديع تقف أمامه البشرية احتراما وتوقيرا لمنهجية رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعاملاته مع الأطفال.

أكتفي بهذا القدر من إلقاء الأضواء على ظاهرة التهميش الاجتماعي المتعمد للناشئة، وسبل الوقاية منها، وأنتقل إلى النوع الثالث والأخير من أنواع التهميش المتعمد في المطلب التالي.

****

المطلب الثالث التهميش التعليمي

في إطار البحث عن البواعث الدافعة لفقدان الثقة بالنفس لدى الناشئة؛ لا يمكن أن نمر على التهميش التعليمي مرور الكرام، والحقيقة أن صور هذا التهميش التي نشاهدها في الواقع المعاش كثيرة للغاية؛ يطول بنا المقام لعرضها كاملة؛ وحسبنا منها ما يلي:

أولا التهميش على أساس النوع:

هناك بعض الأسر ما زالت إلى يومنا هذا تتعمد تهميش البنات في التعليم، وتحرمهم منه بدعوى الأعراف والتقاليد، قائلين بلسان حالهم "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ"[١] ولا شك أن هذه العادات تتصادم مع نصوص السنة الصحيحة الصريحة، فقد جاء في صحيح البخاري: "قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ،

(١) سورة الزخرف، من آية ٢٢

فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ"[١] هذا الحديث يدل دلالة واضحة أن الإسلام كفل للمرأة حرية التعليم، ولا يختلف على هذا اثنان، وفي الإطار ذاته تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ"[٢] هكذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها؛ التي عاشت في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لقد امتدحت هذه الفئة من النساء التي تعلمت؛ ووصفتها بأنها نعم النساء؛ وخير النساء، وقد كانت رضي الله عنها رائدة في هذا الميدان، ومن ثم فلا غرابة إذا حين يتنامى إلى علمنا؛ أن أغلب الأحاديث الواردة في هذه الدراسة التي نحن بصددها؛ من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها.

ثانيا التهميش العنصري على أساس الجنس أو العرق أو الدين:

فقد يتم تهميش بعض الفئات من الطلاب بناء على خلفياتهم العرقية أو الدينية أو الجنسية، مما يؤدي إلى حرمانهم من فرص تعليمية متساوية، ومن المعلوم أن هذا التهميش أيضا يتصادم مع التعاليم الإسلامية؛ والنصوص الشرعية، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[٣] فلم يميز النبي صلى الله عليه وسلم بين فئة وفئة، أو يفضل طائفة على حساب الأخرى، بل الجميع سواسية.

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص٣٢، ح١٠١، من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٢٦١، ح٣٣٢، مرجع سابق.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٣٨، ص٤٧٤، ح٢٣٤٨٩، من رواية أبي نضرة رضي الله عنه، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ثالثا التهميش بسبب الأعباء الاقتصادية:

في ظل الأوضاع الاقتصادية الراهنة؛ فضّلت بعض الأسر أن تدفع بأبنائها إلى سوق العمل في سن مبكرة؛ ليتعلموا حرفة أو ينشغلوا بالتجارة، ومن ثم إهمال التعليم تماما أو جعله أمرا هامشيا ثانويا، وهذا المنحى يتعارض أيضا مع منهجية رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناشئة، فقد كان يدفعهم دائما إلى حِلق العلم، ويدعو لهم بالخير والبركة، وخير شاهد على ذلك: دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قائلا: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"(١) الأمر الذي يؤكد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم النشء في عهده.

رابعا التهميش على أساس التفوق العلمي:

ويظهر ذلك بوضوح أثناء عملية الشرح في الفصول التعليمية؛ حيث يتعمد بعض السادة أعضاء هيئة التدريس صب اهتمامهم على الطالب المتفوق وتهميش الباقين! بل الأدهى من ذلك؛ حين يقرر بعض المدرسين في الدروس الخاصة قبول الطالب المتميز فقط؛ ورفض الباقين!! الأمر الذي يؤدي بالطبع إلى فقدانهم الثقة في أنفسهم، ولا شك أن هذا الاتجاه أيضا يتضارب مع منهجية رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة، فلم يرد إلينا على الإطلاق ما يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم استثنى أحدا من مجالس العلم؛ رغم التفاوت في قدرات الحاضرين؛ بل كان يحتويهم جميعا قائلا لهم: "إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ"(٢) لم يقل المتفوق دراسيا

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص٤١، ح١٤٣، من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سنن الترمذي، ج٥، ص٤٣٦، ح٣٥٣٥، من رواية صفوان بن عسال، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

أو المتميز علميا؛ وإنما قال طالب العلم؛ أيا كان هذا الطالب؛ طالما جاء راغبا في العلم، الأعجب من ذلك؛ حين كان يجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرهم أن الذي يشق عليه التعلم يتضاعف أجره عن الباقين!! وقد جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ"(١) إنها هدية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبناء المسلمين الذين يعانون من صعوبات التعلم.

خامسا التهميش بسبب العنف الواقع على الأبناء:

إذا كان العنف داخل المؤسسات التعليمية في وقتنا الراهن بات نادرا؛ بيد أنه ما زالت تمارسه العديد من الأسر بدعوى التعليم، ولا يغيب أبدا عن ذاكرتي هذا المشهد الذي رأيت فيه بعيني أحد الأطفال يحمل أعزكم الله حذائه قائلا: هذا هو سلاح أم التلميذ!! إشارة منه إلى مدى العنف الذي يقع عليه من والدته أثناء كتابة الواجبات الدراسية! تذكرت آنذاك هذا المشهد التربوي التعليمي الرائع الذي جسده لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء تعليم الأطفال؛ إذ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ"(٢) يا إلهي! البون بين المشهدين بعيد؛ والفارق بينهما كبير؛ الأول يحمل الحذاء؛ والأخير يحمل رسالة حب وحنان وأمان؛ لكم أن تتخيلوا نفسية الطفل آنذاك وهو يتعلم وكفه بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! هل يمكن لهذا الطفل أن تتكاسل ذاكرته يوما في تذكر التشهد الذي تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على هذه

---

(١) صحيح مسلم، ج١، ص٥٤٩، ح٧٩٨، من رواية عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٥٩، ح١٠١، مرجع سابق.

الهيئة؟! بالطبع لا؛ لقد أحاطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسمعه وبصره وجوارحه وعواطفه ومشاعره، إنها العناية والرعاية التي عزت عن النظير!!

بهذا المشهد الرائع أحببت أن أختم مطلبي ومبحثي ودراستي، ولم يبق سوى إماطة اللثام عن أهم النتائج والتوصيات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

*****

الخاتمة

لقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج والتوصيات يمكن بيانها فيما يلي:

أولا النتائج:

١-أماطت الدراسة اللثام عن عدد من البواعث الدافعة لفقدان الناشئة الثقة بأنفسهم؛ وقد تصدر التدليل المفرط للأبناء قائمة هذه البواعث، بدءا من العطاء العشوائي بلا ضابط أو رابط، ومرورا بالحماية الزائدة لدرجة الخوف المرضي، وانتهاء بغياب التوجيه الأسري.

٢-كشفت الدراسة عن بعض الأضرار النفسية والجسدية والاجتماعية الناجمة عن القسوة الزائدة بالناشئة، ودورها الرئيس في تكوين شخصية هزيلة.

٣-طرحت الدراسة حلولا فعالة وبديلة للعنف الأسري الذي انتشر في واقعنا المعاصر بصورة يندى لها الجبين وتنفطر منها الأكباد، وفي الوقت ذاته أشارت الدراسة إلى الضوابط الشرعية المنوطة بتأديب الأولاد.

٤-كشفت الدراسة أيضا عن أخطر مظاهر الإرهاب النفسي في وقتنا الحاضر بدءا من تخويف الأطفال بحكايات الأشباح، ومرورا بالعصبية والصراخ الدائم في وجوههم، وانتهاء بإشراكهم في الخلافات الزوجية، وطرق المواجهة في كل باعث على حدة.

٥-كذلك أماطت الدراسة اللثام عن آفات اللسان؛ وخطورتها على الناشئة، مثل التحقير والإهانة، والتوبيخ الدائم والعتاب المستمر؛ والدعاء عليهم بالمرض والهلاك، فضلا عن المصطلحات السوقية، والألفاظ النابية، الكفيلة بشحن الأبناء بالعقد النفسية.

٦-أضف إلى كل ما سبق أشارت الدراسة إلى الصورة العالقة في أذهان البعض عن الناشئة؛ حيث النظرة الدونية، والتهميش المتعمد سواء كان عاطفيا

أم اجتماعيا أم تعليميا، وكيفية مواجهة هذه الظواهر السلبية، والتي تؤدي بالطبع إلى تدمير نفسية الأبناء.

٧-وأخيرا اهتمت الدراسة عبر كل مطالبها ومباحثها بالكشف عن سبل الوقاية من البواعث التي تؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس، وذلك لمحاولة وأد الظاهرة في مهدها؛ واجتثاثها من جذورها.

ثانيا التوصيات:

١- توصي الدراسة بعقد دورات تدريبية؛ لمحو الأمية التربوية؛ لدى الراغبين في الزواج والمقبلين عليه، وذلك لبيان فنون التعامل مع أفراد الأسرة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة بهذا الصدد.

٢- كذلك توصي الدراسة بإدراج مادة دراسية ضمن المقررات العلمية في مؤسسة التعليم العالي؛ تهتم بإماطة اللثام عن النظام الأسري والاجتماعي في الإسلام، وذلك على غرار مادة النظم الإسلامية المقررة على الكليات الشرعية في جامعة الأزهر الشريف.

٣- توصي الدراسة أيضا بإنشاء قنوات فضائية للآباء متخصصة في تربية الأبناء، وعلى غرارها قنوات أخرى توجه أنظار الأبناء إلى فنون التعامل مع الآباء.

٤- إلى جانب ما سبق توصي الدراسة أيضا بضرورة تعاون المؤسسات الدعوية فيما بينها؛ لمواجهة خطر الحركات التغريبية؛ التي تبذل جهودا مضنية في بلادنا لطمس معالم هوية الأسرة المسلمة.

٥- وأخيرا توصي الدراسة بسن عدد من القوانين الرادعة لزجر الخارجين عن حدود اللياقة والأدب من أفراد الأسرة، لا سيما بعد انتشار ظاهرة جحود الآباء وعقوق الأبناء، وبيوت الأحداث ودور المسلمين خير شاهد ودليل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١-أثر درجة الذكاء والدافعية للإنجاز على أسلوب تفكير حل المشكلة لدى الطلبة المتفوقين في سن المراهقة: قطامي يوسف وقطامي نايفة، مجلة دراسات العلوم التربوية، الجامعة الأردنية.

٢-أحكام القرآن: الجصاص، ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

٣-أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي، ط: مكتبة الشباب المسلم، ١٩٥٥م.

٤-أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن الشيباني ط: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥-أسنى المطالب في شرح روض الطالب: أبو يحيى السنيكي، ط: دار الكتاب الإسلامي.

٦-الأطفال المزعجون: د مصطفى أبو سعد، ط: الإبداع الفكري، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٧-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: أبو بكر البيهقي، ص٢٦٧، ط: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ

٨-الآن أنت أب: كريم الشاذلي، ط: دار اليقين – المنصورة، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م

٩-الآن فهمتكم: كريم الشاذلي، ط: دار أجيال، ٢٠١١م.

١٠- بردة المديح: البوصيري، ط: دار التراث.

١١- تربية الأولاد في الإسلام: صالح علوان، ط: دار السلام، ط١،

١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

١٢- تربية الطفل بين القسوة والتدليل: آمال عمر خليل، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.

١٣- تفسير الطبري، ط: الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م

١٤- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر، ط: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م

١٥- تهذيب اللغة: الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٦- الحماية الزائدة للوالدين كما يدركها الأبناء وعلاقتها ببعض المهارات الاجتماعية: رشا مصطفى محمد، ط: كلية التربية جامعة عين شمس.

١٧- ديوان الشافعي، ط: الكليات الأزهرية – القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٨- السحر الحلال في الحكم والأمثال: أحمد إبراهيم الهاشمي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٩- سنن أبي داود، ط: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م

٢٠- سنن الترمذي، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م

٢١- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ط: دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

٢٢- السيرة النبوية لابن هشام، ط: البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م

٢٣- شعب الإيمان: البيهقي، ط: الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م
٢٤- الشوقيات: أحمد شوقي، ط: كلمات عربية – القاهرة، ٢٠١١م.
٢٥- الصحاح: الفارابي، ط: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٦- صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢م.
٢٧- صحيح مسلم، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٨- علم النفس المعاصر: د حلمي المليجي، ط: دار النهضة العربية، ط٨، ٢٠٠٠م
٢٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون ت.
٣٠- عيون الأخبار: ابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨هـ.
٣١- قوة الثقة بالنفس: آرنولد كارول، ط: الهلال – القاهرة.
٣٢- كتاب العين: للفراهيدي، ط: دار الهلال، بدون ت.
٣٣- كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظاما: آلان ديفيدسون، ط: مكتبة جرير، ط١، ٢٠٠٤م
٣٤- لسان العرب: ابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
٣٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهاني: دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ
٣٦- مختصر تاريخ دمشق: لابن عساكر، ط: دار الفكر للطباعة

والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م.

٣٧- المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٣٨- مسند الإمام أحمد، ط: الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م

٣٩- المعجم الأوسط: الطبراني، ط: دار الحرمين – القاهرة.

٤٠- معجم الصواب اللغوي: أحمد مختار عمر، ط: عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٤١- المعجم الكبير: الطبراني، ط: دار الصميعي – الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

٤٢- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة، بدون ت.

٤٣- معرفة أسامي أرداف النبي صلى الله عليه وسلم: ابن منده الأصبهاني، ط: المدينة للتوزيع – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ

٤٤- مقاييس اللغة: الرازي، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٥- مناقب الشافعي: البيهقي، ط: مكتبة دار التراث – القاهرة، ط١، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م.

٤٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٤٧- الوافي بالوفيات: الصفدي، ط دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م

******

SOURCE AND REFERENCES

The Holy Quran.
- 1the impact of the degree of intelligence and motivation for achievement on the thinking style of problem solving among outstanding students in adolescence: Katami Youssef and Katami Naifa, Journal of Educational Science Studies, University of Jordan.
-2provisions of the Quran: Al-Jassas, i: House of scientific books Beirut-Lebanon, i1, 1415 Ah-1994 ad
-3our social ethics: Mustafa al-Sibai, I: Muslim youth library, 1955.
- 4The Lion of the forest in the knowledge of the companions: Abu al - Hassan Al-Shaibani i: House of scientific books, Vol.1, 1415 Ah-1994 ad.
-5Ask the student to explain the student's kindergarten: Abu Yahya Al-senaiki, I: Islamic Book House.
-6annoying children: Dr. Mustafa Abu Saad, I: intellectual creativity, 1427h - 2006g.
-7belief and guidance to the path of guidance: Abu Bakr al-Bayhaqi, P. 267, I: New Horizons House-Beirut, i1, 1401 Ah
-8now you are a father: Karim al-Shazli, I: Dar Al-Yaqeen-Mansoura, i1, 1430h – 2009g
-9now I understand you: Karim Al-Shazly, I: Dar Ajyal, 2011.
-10purdah of praise: al-busairi, I: Heritage House.
-11raising children in Islam: Saleh Alwan, I: Dar es Salaam, I. 1, 1396 Ah - 1976 ad .
-12raising a child between cruelty and pampering: Amal Omar Khalil, Umm Al-Qura University, 1424h.
-13Tafsir al-Tabari, I: message, i1, 1420 Ah - 2000 AD
-14Arabic dictionary supplement: Reinhart Peter, I: Ministry of culture and information, Iraq, i1, from 1979-2000
-15language refinement: Al-Azhari, i: House of revival of Arab heritage-Beirut, i1, 2001.

-16excessive protection of parents as perceived by children and its relationship to some social skills: Rasha Mustafa Mohammed, I: Faculty of Education, Ain Shams University.
-17Shafi'i Diwan, i: Al-Azhar colleges-Cairo, i2, 1405 Ah - 1985 ad.
-18halal magic in judgment and proverbs: Ahmed Ibrahim al-Hashimi, i: House of scientific books-Beirut.
-19Sunan Abi Daoud, i: House of the universal message, i1, 1430 Ah-2009 ad
-20Senn al-Tirmidhi, I: Dar Al-Gharb al-Islami-Beirut, 1998
-21biography of the flags of the nobility: Golden, I: Dar Al - Hadith-Cairo, 1427-2006g.
-22the prophetic biography of Ibn Hisham, I: al-Babi al-Halabi, i2, 1375 Ah - 1955 ad
-23people of faith: Al-Bayhaqi, I: al-roshd-Riyadh, i1, 1423 Ah - 2003 ad
-24shawkyat: Ahmed Shawky, I: Arabic words-Cairo, 2011.
-25Al-Sahah: Al-Farabi, I: Dar Al-Alam for millions-Beirut, I4, 1407h - 1987g.
-26Sahih al-Bukhari, House of the lifeline collar, Vol. 1, 1422 ad.
-27Sahih Muslim, I: House of revival of Arab heritage-Beirut.
-28contemporary psychology: Dr. Helmi meligi, I: Dar Al-Nahda Al-Arabiya, i8, 2000
-29the mayor of al-Qari explained Sahih al-Bukhari, I: the House of revival of Arab heritage-Beirut, without T.
-30news eyes: Ibn Qutayba, i: House of scientific books-Beirut, 1418 Ah .
-31the power of self-confidence: Arnold Carroll, I: Crescent – Cairo.
-32The Book of the eye: by Farahidi, I: Dar Al-Hilal, without T.
-33how competent Fathers create great sons: Alan Davidson, I: Greer library, i1, 2004

-34Arab tongue: Ibn Manzoor, I: Sadr House-Beirut, i3, 1414 Ah
-35lectures of literary writers and dialogues of poets and rhetoricians: Ragheb Isfahani: Dar Al-Arqam ibn Abi Al-Arqam-Beirut, 1st, 1420 Ah
-36A Brief History of Damascus: labn Asaker, I: Dar Al-Fikr for printing, distribution and publishing, Damascus – Syria, Vol.1, 1402 Ah - 1984 ad.
-37Al-mustadraq Ali al-sahihain: al-Hakim, i: House of scientific books-Beirut, i1, 1411-1990 .
-38Musnad of Imam Ahmad, I: Letter, i1, 1421 Ah - 2001 ad
-39middle lexicon: Al-Tabarani, I: Dar Al-Haramain-Cairo.
- 40Dictionary of linguistic correctness: Ahmed Mukhtar Omar, I: the world of books, Cairo, Vol. 1, 1429 Ah-2008 ad.
-41the grand lexicon: Al-tabrani, I: Dar Al-sumaii-Riyadh, i1, 1415 Ah-1994 ad.
-42intermediate lexicon: Arabic language complex in Cairo, I: Dar Dawa, without T.
-43knowledge of the names of the buttocks of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him): Ibn Munda Al-asbahani, I: Medina for distribution-Beirut, i1, 1410 Ah
-44language standards: Al-Razi, I: Dar Al-Fikr, 1399 Ah - 1979 ad.
-45manaqib Al-Shafi'i: Al-Bayhaqi, I: Library of the Heritage House-Cairo, 1st, 1390 Ah-1970 ad.
-46the curriculum is explained correctly by Muslim Ibn Al-Hajjaj: al-Nawawi, I: the House of revival of Arab heritage-Beirut, i2, 1392 Ah.
-47obituaries: Safadi, heritage revival house, Beirut, 1420 - 2000

******

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	**الملخص باللغة العربية.**	١٠٤٠
٢	**Abstract**	١٠٤١
٣	**مقدمة**	١٠٤٢
٤	**التمهيد**	١٠٤٦
٥	**المبحث الأول: التدليل المفرط**	١٠٥٠
٦	المطلب الأول: العطاء العشوائي	١٠٥١
٧	المطلب الثاني: الحماية الزائدة.	١٠٥٧
٨	المطلب الثالث: غياب التوجيه.	١٠٦٤
٩	**المبحث الثاني: القسوة الزائدة**	١٠٧٠
١٠	المطلب الأول: العنف البدني	١٠٧٠
١١	المطلب الثاني: الإرهاب النفسي	١٠٧٦
١٢	المطلب الثالث: التهديد اللفظي	١٠٨٥
١٣	**المبحث الثالث: التهميش المتعمد**	١٠٩٧
١٤	المطلب الأول التهميش العاطفي	١٠٩٧
١٥	المطلب الثاني: التهميش الاجتماعي	١١٠٢

١٦	المطلب الثالث التهميش التعليمي	١١٠٧
١٧	**الخاتمة**	١١١٢
١٨	**قائمة المصادر والمراجع**	١١١٤
١٩	**فهرس عام للموضوعات**	١١٢١

تـم بـحمد الله تعالى